الفصل الثالث
العوامل الفنية والمهنية لتشوية صورة الإسلام والمسلمين

المبحث الأول
عوامل إبراز الصورة السلبية

أولاً : الأدوات والوسائل :

١ـ العناوين

استخدام العناوين المثيرة التى تبعث الخوف والقلق فى نفوس المواطن الأوروبى وتولد شعوراً بوجود خطر وشيك يهدد الأسس العامة لحياة المواطن الأوروبى ، كما يتضح لنا من عناوين مثل : (المسلمون قادمون) (الجهاد يتجه نحونا) ، (الوجه القبيح للإسلام) (الأمير تشارلز على خطأ) (الإسلام يهدد الغرب) ، كذلك العناوين التى تستعمل مفردات الحرب مثل (انتبهوا .. الإرهاب الإسلامى فرقة انتحارية عالمية) ، (حرب مقدسة تتجه نحونا) (سيف الإسلام) ... إلى جانب العناوين التى توحى بأن المسلمين بصفة عامة ، مازالوا الآخرين فى نظر الكثير من الناس ، وأنهم مازالوا يعتبرون موضع دراسة وبحث وليس جزءاً من المجتمع الأوروبى ، ومن الأمثلة على ذلك (الجيران الغرباء) (المسلمون مابين الاندماج والانعزال) ،(الأتراك .. لماذا يقود فاروق سيارة مرسيدس خضراء ؟) [١]

وخطورة مثل هذه العناوين ترجع إلى أن كثيراً من المواطنين عند قراءتهم للصحف ، فقد لا يقرءون إلا العناوين . الرئيسية أو الثانوية . وحدها .. لقد ساهم عنوان لمجلة (دير شبيجيل) الألمانية بالصفحة الرئيسية (مكة ألمانيا الأسلمة الصامتة) فى تأكيد ألمانيا تتعرض لمشروع أسلمة .

٢ـ الصور :

أ- **الصورة الصحفية** : اختيار صور لا تمت بصلة للموضوع المطروح فى الصحيفة – متن المادة الصحفية – وغير مهمة بالنسبة له لكن استخدامها يوحى بالربط وبتلك الأهمية : كأن تعرض صور لمصلين فى مسجد لدى الحديث عن الاعتداء على مترو لندن عام ٢٠٠٥م بما يوحى بإضفاء الطابع الدينى على الكثير من الموضوعات الصحفية المثيرة للجدل ، مثل قضية الاحتلال الإسرائيلى لفلسطين ، وذلك باستخدام صور تتضمن صوراً دينية .. [٢]

وفى هذا الإطار تقوم الصحف الغربية بعملية مونتاج ، قص ولزق للصور ، مستخدمة فى ذلك أسلوب الإيحاء النفسى باعتبار أن الصورة أبلغ من ألف كلمة، رغم أن الصور قد تكون مغايرة تماماً لمضمون النص الصحفى أو لا تحمل نفس المعنى بدقة .. ومن الأمثلة الواضحة ما نشرتة مجلة (دير شبيجيل) الألمانية بتاريخ ٦ أكتوبر ٢٠٠٠م ، ففى الصفحتين (٢٤٠. ٢٤١) يوجد مونتاج لصورة منشورة فى إطار موضوع صحفى عن القضية الفلسطينية، فى الصفحة اليسرى نرى صورة كبيرة نسبيّاً تظهر شابين فلسطنيين يقذفان زجاجات مولوتوف ، وتظهر الصورة نيراناً مشتعلة وجوّاً ذا صبغة عدوانية وشغفاً بالاعتداء وعلى يمين الصورة مباشرة هناك صورة أخرى تبلغ ما يقرب من ثلث الصورة الأولى ، يظهر فيها مستوطن إسرائيلى يحمل بين ذراعيه رضيعاً . كما لو كان فى مرمى المهاجمين الفلسطينيين . ، أما سلاح الكلاشينكوف الذى يحمله المستوطن فى حزام الكشف فقد اختفى تقريباً وراء جسم الرضيع !! أمام هذه الصورة أصبح الموضوع هو (معتدون فلسطنيون يهاجمون مستوطنون أبرياء) أى (أطفال المستوطنين الأبرياء)!! [٣]

ب ـ الصورة التليفزيونية :

لقد أصبح الحجاب بصفة خاصة . إلى جانب المساجد والصلاة واللحى . منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م يستخدم بصورة رائجة كرمز مثالى فى سياق الحجج

المتعلقة بالتطرف الإسلامى ، وبالتالى أصبح كافياً إظهار لقطة سريعة على شاشات التليفزيون لامرأة ترتدى الحجاب لكى تصبح الأمور واضحة تماماً، حيث تبدأ عملية الربط القوى بين الحجاب والاضطهاد أى قمع المرأة ، وهذا ما يوضح الأسباب التى تجعل حجاب المرأة المسلمة اليوم محل نقاش جاد فى المجتمع الغربي .. وفى هذا الإطار هناك تقنية فعَّالة فى مجال ربط شتى المجالات المختلفة ببعضها البعض من خلال البرامج والأفلام الوثائقية ، ومن أشهر من تخصص في ذلك الإعلامى الألمانى بيترشول رلاتور ، خاصة فيلمه التلفزيونى (ساحة المعركة فى المستقبل ٩ الذى يشير إلى (انفجار فى معسكر للجنود الروس فى كاسبيسك) يعرض الفيلم صوراً لمنازل مدمرة وعربات تقوم بإخلاء ورفع آثار الدمار .. ثم يأتى مقطع جديد (استعراض مسجد السلطان أحمد المبنى على الطراز التركى ، وتتجول الكاميرا (الصورة التليفزيونية) فى أنحاء المسجد بخلفيته المعمارية وتركز على القبة وعلى الهلال أعلى القبة ، وبالتالى تم الربط بين الاعتداء والإسلام والذى تم بطريقة ضخمة وبسرعة فائقة جداً كما أن الفيلم لم يحط المشاهد علماً بنوعية الانفجار الذى وقع ولم يقدم الحجج والبراهين المقنعة إذا كان هناك اعتقاد بوجود صلة بين الانفجار وما يسمى الإرهاب الإسلامى ، كما أنه قدَّم تشويهاً لكل رموز الإسلام من خلال (الصورة التليفزيونية).

٣ ـ استخدام لغة الأرقام والإحصائيات والبيانات

استخدام لغة الأرقام والإحصائيات والبيانات التى قد تكون غير صحيحة ، وذلك بهدف التهويل والمبالغة . من أهم أسباب انتشار "الإسلام فوبيا" بشكل واسع النطاق . وذلك فى حجم الظاهرة الإسلامية ، بما يوحى بوجود مخاطر أو يثير الحساسية ، مثل الحديث عن أن عدد الذين اعتنقوا الإسلام فى ألمانيا قد وصل حتى عام ١٩٩٦م .. أو الإشارة إلى عدد المساجد فى بلد ما أو عدد المهاجرين فى دولة معينة مثل فرنسا أو الإشارة إلى استطلاع رأى يؤكد أن ثلاثة من كل أربعة فرنسيين يعتقدون أن كلمة متعصب تنطبق تماماً على الإسلام .

٤ـ الموقع والتوقيت (شكل التناول الإعلامي):

فى التليفزيون يحدد موضوع البرنامج وعنوان الحلقات وتوقيت بثه ، وأحياناً اسم مقدم البرنامج أهمية موضوع ما ، وبالتالى مدى قدرته على إثار اهتمام المشاهد ولفت انتباهه ... أما فى الصحافة فيكون موقع النشر ومساحة الموضوع الصحفى، وأحياناً البنط والألوان، مؤشراً على أهمية المعلومات الواردة في ذلك الموضوع، ويجعل طابع الإثارة موضوعاً يتصدر الصفحات الرئيسية فى الصحف والمجلات ، ومن أمثلة ذلك أنباء ملاحقة الشرطة للأفراد فى (المساجد) منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ومن المثير للاهتمام ملاحظة ماورد فى جريدة (نورنبير جير ناخريشتين) الألمانية ، فمن خلال تقييم منهجى لعدة شهور خلال عام ٢٠٠٢م ، لوحظ أن أنباء ملاحقة المهاجرين المسلمين من قبل الشرطة الألمانية احتلت دائماً الصفحات والعناوين الرئيسة للجريدة ، أما الأنباء التى تشير إلى عدم وصول التحقيقات إلى نتيجة تدين المسلمين فإنها تُنشر فى الصفحات الداخلية وفى مساحة صغيرة غير واضحة ، أو لا يتم نشرها على الإطلاق . وعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من الحالات التى تم توقيفها قد ثبت أنه لا أساس لصحة الاتهام الموجه إليها أبداً الإ أن الإعلام الغربى ظل يغذى الانطباع بأن هناك مصادر خطر نابعة من المساجد ، وهذا يفسر الاختلاف الذى بدأ يطرأ على مفهوم (المسجد) كمكان للصلاة وتعلم الدين فى تلك الفترة ، حتى أصبح رمزاً (للتآمر) فى الإعلام الأوروبى والأمريكى . (٥)

ثانيا : الأساليب والأنماط :

١- **التكرارالمستمر:** فى عرض القضايا والموضوعات التى تقدم صوراً مشوهة ومواقف سلبية للإسلام والمسلمين ، والتكرار يكون فى الوسيلة الواحدة كالصحافة (مثل تكرار بعض الأحداث المرتبطة بالعنف) ، أو فى وسائل الإعلام المختلفة (كالصحافة والإذاعة والتليفزيون والإنترنت)... وقد سبق الإشارة

إلى نماذج للتكرار . كوسيلة لإبراز الفكرة . عند الحديث عن ظاهرة (الأصولية) فى الإعلام الأوروبى ، وسوف نعرض لأمثلة أخرى لبيان أسلوب التكرار .

فى شهر يونيو ٢٠٠١م أثارت الصحف الأوروبية قضية الدعوى التى أقامها أحد المحامين المصريين مطالباً بتطليق الدكتورة نوال السعداوى من زوجها إجبارياً – التفريق بينهما – بسبب تصريحاتها الخاصة بالقضايا الدينية وآرائها فى علماء الدين الإسلامى ، ووصفها للحج بالطقوس الوثنية وانتقادها لتشريع الميراث الخاص بالمرأة .

أشارت الصحف الألمانية فى العديد منها إلى هذه القضية بالإسهاب مثل الصحفيه(زود دويتشه) فى عددها الصادر بتاريخ ١٨ يونيو ٢٠٠١م بعنوان (نوال السعداوى .. المدافعة عن حقوق المرأة لن تهاب) ، وصحيفة (برلينرتسايتونج) تحت عنوان (الطلاق الإجبارى) يوم ١٩ يونيو٢٠٠١م لمراسلها من مصر كريم الجوهرى ، وصحيفة (فرانكفورتررونديشاو) فى العدد الصادر يوم ٢٩ يونيو ٢٠٠١م وتناولت الصحف الفرنسية نفس القضية فى تلك الفترة تقريباً من خلال صحيفة (لوموند) تحت عناون (بدأت مطاردة المثقفين فى مصر) كما نشرت القضية صحيفة (ريزبوسيوليتا) البولندية يوم ٢٠٠١/٦/١٨م تحت عنوان (مصر : الطلاق بسبب إزدراء الدين) .

فى نفس الفترة أثارت الصحف الأوروبية قضية الراهب القبطى المخلوع من دير المحروقى فى أسيوط ، والذى نشرت له صوراً فاضحة مع سيدة عارية بجريدة (النبأ) وجريدة (أخر خبر) فى مصر ، مما آثار مشاكل مع الأقباط الساخطين على نشر الصور ،فقد تناولتها المعالجات الصحفية الأوروبية بشكل واسع النطاق .

وتناولت الصحف الألمانية القضية على نحو يوحى باضطهاد الأقباط فى مصر وحرمانهم من شغل الوظائف العليا بل أشارت إحدى الصحف (زود دويتش تسايتونج) إلى قصر الوظائف الدنيا على الأقباط مثل جمع القمامة ، وزعمت

الصحيفة بوجود غضب وقيام مظاهرات للأقباط احتجاجاً على نشر هذه الصورة ، فإلى جانب تغطية كثير من الصحف للموضوع (دير تاجز شبيجل) (وفرانكفورتر روندشاو، زودوتيشه تسايتونج ، فرانكفوتر الجمانيه) بثت قناتا التليفزيون الألمانى ARD| ZDF تقريراً مصوَّراً تحت عنوان (الصراع بين المسلمين والأقباط يتخذ مرحلة جديدة) وذلك فى يوم ٢١ يونيو ٢٠٠١م .

طرحت الصحف الفرنسية القضية فى كل من صحيفة (لوموند) تحت عنوان (صحيفة فضائح تثير غضب الطائفة القبطية) يوم ٢٠٠١/٦/٢١م وصحيفة (ليبراسيون) التى نشرت تقريراعن الموضوع نفس اليوم.

وقد تناولت القضية صحيفة دى مورجه البلجيكية يوم ١٩/ ٦/ ٢٠٠١م تحت عنوان (قيام آلاف المسيحيين بالتظاهر أمام كاتدرائية القاهرة)

أما بعد أحداث ١١ سبتمبر فيمكن العرض للتكرار من خلال عرض الصحف الفرنسية لاحتجاجات ٦٠٠ شخصية فرنسية على محاكمة الشواذ فى مصر أمام محكمة أمن الدولة .. مثل صحيفة (ليبراسيون) التى أشارت إلى أن تهمة الشذوذ الجنسى وارتكاب أفعال منافية للأديان هى التهمة الموجهة لـ ٢٣ مصرى ، إلى جانب صحيفة (لونوفيل أوبزرفاتو) ومجلة (لوبوان) وصحيفة (لوماتان) كما قامت صحيفة (لوموند) أكبر الصحف الفرنسية المحافظة يفتح ملف الشواذ فى مصر ، وأشارت إلى محاكمات سابقة لبعض الشواذ .

٢ـ التعميم : أى اعتبار وقائع معينة دليلاً على الصورة بأكملها ، ويأخذ التعميم عدة أشكال .

أ . الخلط بين العمل المنفرد والانتماء لمجموعة (المسلمين) ، مثل الحديث عن المشاكل التى تتعرض لها بعض النساء فى العالم الإسلامى بوصفه الوضع العام للمرأة المسلمة ، رغم أن هناك وقائع متشابهه تحدث فى أنحاء متفرقة من العالم ، مثل أمريكا اللاتينية ، ومثل حالات عقد الزواج بناءً على اعتبارات عائلية

داخل مجتمع الصينين فى ألمانيا ... ولكن عندما يتعلق الأمر بالمسلمين نجد أنه يتم عادة انتقاء الأحداث ويجرى تعميمها وتكرارها على نحو دائم . كما ذكرنا من قبل . إلى أن تصبح بحكم الحقيقة . (٦)

ب- ذكر مواصفات تتعلق بانتماء مجموعة معينة كالقومية والدين ، وهو مايخالف قواعد ومواثيق شرف مهنة الصحافه والإعلام ، لأن خطورة الأمر ترجع إلى تفسير الحالات الفردية على أنها ظاهرة متعلقة بكامل المجموعة ، والمثال الواضح هنا ، عندما أثار قناص فى واشنطن خريف ٢٠٠٢م مشاعر الهلع والخوف فى نفوس المواطنين سمعنا فى إذاعة بافاريا الألمانية (التابعة للقناة الخامسة) بعد اعتقال القناص عبارة (جون الن محمد الذى اعتنق الإسلام) .. ورغم أنه لا يُعرف دوافع صاحب عملية واشنطن ، إلا أن الجملة السابقة قد أعطت الإيحاء فى وجود صلة بين أعمال العنف ضد الأبرياء ديانة مرتكب تلك الأعمال .. حتى أصبح فى تلك الفترة . هذا الأمر نوعاً من الأعراف المتداولة فى التقارير الصحفية ، طالما تعلق الموضوع بفاعل (مسلم) فيتم ذكر الانتماء الدينى سواء كان ذلك مهماً بالنسبة للموضوع أم لا !! (٧)

٣. **استخدام الأكليشيهات المعتادة** stereotype والمقصود بها التصورات النمطية والقوالب الجامدة عن الإسلام والمسلمين ، وكثيراً ما يتم اللجوء إلى هذا النمط فى الإعلام الغربى ، عندما يتعذَّر إنكار حقائق معينة ثابتة ، وخاصة عندما تتعارض هذه الحقائق مع التوقعات المعهودة للذهن الغربى ، يتم بسرعة وسهولة إعادة عرضها من خلال تلك الأكليشيهات .. وأفضل مثال لتوضيح خطورة هذا النمط هو نموذج (بنازير بوتو) رئيس وزراء باكستان سابقاً ، فعندما أصبحت رئيسة للحكومة جاء ذلك متناقضاً مع التصورات التقليدية السائدة فى المجتمع والإعلام الغربى حول دور المرأة المسلمة ، ولكى لا يضطر الإعلام الغربي إلى إعادة النظر فى تلك الحقيقة المتعلقة (بوصول إمرأة مسلمة إلى الحكم فى بلد مسلم) ، قدموا بيانات تفسر أسباب ذلك فتمت الإشارة إلى تراث

أبيها ، وأمية السكان ، ودراستها الجامعية فى إكسفورد ؛ مما جعلها تفقد صفتها كمسلمة إلى حد ما ، كما جرت الإشارة إلى دعم الشيعة لها فى الانتخابات .. إذن فقد تطلب الأمر تقديم تفسيرات وإيضاحات لإثبات أن حالة بوتو كانت حالة استثنائية محضة ، والتأكيد على عدم خطأ الرأى السائد بوجود تناقض بين الإسلام ووصول المرأة المسلمة لهذا المنصب . (٨)

أكدت درسات صحفية صحة الفرضية التى تقول بتأثر الصحفيين الغربيين بالأكلاشيهات الشخصية المتعلقة بالعالم الإسلامى فى تقاريرهم الصحفية ، كما أنها أثَّرت فى تقارير صحفيين آخرين ، أضف إلى ذلك العمل الصحفى لا يصحح تلك الأكلاشيهات التى يتلاقها الصحفى فى أسرته ومدرسته وفى بيئته الاجتماعية عن الإسلام والمسلمين ومن ثم يتم تقديمها خلال عمله الصحفى وفى تقاريره عن العالم الإسلامى (٩) ومن الأمثلة على تقديم الصور النمطية فى التلفزيون الأوروبى ، ما ذكره تون فان ديك فى مقالة (التمييز العنصرى والصحافة الأوروبية) عام ٢٠٠٦م ، عندما أشارت إلى نتائج دراسة نوعية للمسلسلات البوليسية الشهيرة والتى بينت أنه مازال يجرى إسناد أدوار نمطية . فى تلك الفترة . معينة للسود والأتراك والبولنديين .. مما يؤثر سلباً على الكثير من المهاجرين وصورتهم فى التلفزيون الأوروبى .

٤ـ نظرة مبنية على الشكوك : يرى كثير من المتخصصين فى تحليل صورة الإسلام فى الإعلام الغربي ، أن أى عمل يصدر عن المسلمين لا بد وأن يكون عملاً خاطئاً . من وجهة نظر إعلام الغرب . وذلك لكون النظرة إليهم مبنية على الشكوك ، حيث يتم استيعاب قضايا الإسلام والمسلمين من خلال النظام (التفسيرى) القائم من قبل وليس من خلال الحقائق نفسها فعندما تصر امرأة مسلمة على ارتداء الحجاب ، فإن ذلك يفسر من قبل الإعلام على أنه نمط من التمويه والتنكر بل محاولة للتغلغل التآمرى .. فقد جاء عنوان إحدى المجلات الإسبوعية فى ألمانيا عام ٢٠٠٤م (عناصر الإرهاب التى لم تنشط بعد تسعى

سعياً دءوباً إلى حيازة الجنسية الألمانية) فإذا كانت الرغبة فى الاندماج تفسر على أنها محاولة للتغلغل ، فما الذى يجب على المسلمين عمله كى يظهروا بصورة إيجابية ؟.. بما يشير إلى كيفية استخلاص نتائج خاطئة (السعى للحصول على الجنسية له علاقة بالإرهابيين) من الحقائق ، فالأمر يتطلب من السياسيين والإعلاميين التصرف بناءً على دقة المعرفة وحسن الضمير . (١٠)

٥ ـ استغلال الجهل بالإسلام والعالم الإسلامي :

يمكن القول بأن الجهل هو أحد العوامل التى تساهم فى تثبيت الصورة السيئة التى إلتصقت بالعرب والمسلمين فى أوروبا ، فعلى سبيل المثال فإن ٧٨% من الشعب البريطانى لا يعرف شيئاً عن الإسلام أو العالم الإسلامى أو العربى كما يقول (كريس دويل) المسئول الإعلامى بمجلس تطوير التفاهم العربى البريطانى .. ومن هنا تقوم وسائل الإعلام الغربية . التى يعتمد عليها المواطن الغربى فى معلوماته عن الإسلام والمسلمين . بترويج أفكار مضللة ، خاصة بتصوير الإسلام كعدو ،إلى جانب صورة المسلم الملتحى الذى يحمل السيف والمصحف ، وهى الصورة الأكثر رواجاً فى إعلام الغرب ، فعندما يصور كاتب (برناردليفين) فى صحيفة التايميز البريطانية بتاريخ (٢١ إبريل ١٩٩٥م) أن المتعصبين المسلمين سعداء مبتهجون عندما يقومون بالقتل ، لأنهم يؤمنون بأنهم ذاهبون إلى مكان بعيد أفضل . المقصود الجنة . فإن القارئ سوف يعتقد أن الإسلام شريعة للقتل (باسم الدين) ، وأنها تنادى بحروب مقدسة ضد الأبرياء !! (١١)

٦ـ تجاهل الحديث عن الجوانب الإيجابية للمسلمين

– أظهرت دراسة موسعة لليونسكو حول التقارير الصحفية عن القضايا الدولية فى عدة بلدان غربية ، أن مشكلة هذه التقارير لا تكمن فقط فى حديثها عن قضايا سلبية ، ولكن فى إحجامها عن الحديث عن قضايا إيجابية ، إن صورة الإسلام فى الإعلام الغربى تحتاج إلى سياق من المعلومات الصحيحة لإبراز الجوانب الإيجابية للمسلمين المقيمين فى الغرب أو فى العالم الإسلامى ،بهدف

مساعدة الجمهور على فهم أسرع للظاهرة الإسلامية ، فالنماذج المشرفة للمقاومة والكفاح السلمى لم يتم الحديث عنها يوماً فى وسائل الإعلام الغربية .. فالهندوسى (ماهاتما غاندى) يعرفة الجميع فى الغرب أو فى العالم الإسلامى ، لكن القليلين الذين يعرفوا شخصية مسلمة مثل (بادشاه خان) فهذا المسلم هو الذى حرك الآلاف فى باكستان للقيام بمظاهرات سلمية وكان من أكثر الناس تعاوناً مع غاندى ، كما سبق ورشح لجائزة نوبل .. إن المتتبع لتاريخ صورة الإسلام فى الإعلام الغربى ، يلحظ قلة الاهتمام بالإسلام كدين وبالقضايا الاجتماعية المختلفة داخل المجتمعات الإسلامية ، وأن الاهتمام الإعلامى يتركز بشكل كبير على الوجوة الراديكالية ، بوصفها صاحبة الأطروحة الأيدلوجية المعارضة للغرب .

***

المبحث الثانى
التغطية الإعلامية للقضايا الإسلامية

أولاً: تغطية إعلامية غير موضعية لقضايا العالم الإسلامى ترجع إلى :

أ . أليات العمل الإعلامى بصفة عامة .. حيث تتطلب ظروف التنافس الإعلامى . تحت ضغط الوقت تقديم معالجة سريعة .. فبدلاً من تقديم خلفية معلومات سليمة للموضوع ، يلجأ الإعلاميون إلى نمط المعرفة السائد . لتقليل المخاطر . وهنا تحدث عملية استبدال العواطف والقوالب بالمعلومات والحقائق الجامدة (كلاشيهات) . خاصة فى عملية التعليق وتحليل القضايا والأحداث .

ب . نقص المعلومات المطلوبة لدى المحررين والإعلاميين عن قضايا الشرق الأوسط والعالم الإسلامى فيما يتعلق بالقضايا الساخنة ذات الاهتمامات الدولية .. وهناك عدة أمثلة من حرب الخليج الثانية ، حيث كان كثير من المراسلين يجهلون المعلومات الجغرافية والسياسية عن العراق .. كما أن كثيراً منهم ذهب إلى السعودية لتغطية الحرب من هناك ، ولكنهم لم يسمح لهم بالتجوُّل فى أرض المعركة أو الإطلاع على الموقف مباشرة ، بل كانوا يعدُّون رسائلهم الصحفية والتليفزيونية من خلال ما تقدمه لهم القيادة العسكرية لقوات التحالف دون أن يروا أى شيء ، أو يعرفوا أية معلومات حقيقية عن الوضع القائم فى الحرب .

جـ . اعتماد المعلقين والمحللين السياسين والصحفين على إصدار أحكام جاهزة وآراء معدة سلفاً حيث يتم إدراك ثقافة الأخر على أنها (تهديد) بينما ثقافة المجتمع الذى ينتمون إليه ثقافة مثالية وخيِّرة وهنا تصبح التغطية الإعلامية خاضعة لميول واتجاهات عامة الناس ، وكأنها ينطبق عليها المثل القائل (الجمهور عاوز كدا) [١٢]

صورة العرب فى صحافة ألمانيا

فى دراسة بعنوان (صورة العرب فى صحافة ألمانيا الاتحادية) ، توصَّل الباحث إلى أن أهم العوامل التى تؤدى إلى ضعف الأداء المهنى للصحافة الألمانية . فيما يخص القضايا الإسلامية يرجع إلى :

١ . عدم معرفة اللغة العربية أو الإهتمام بالقضايا العربية الإسلامية .

فمن خلال المقابلة الشخصية توصل الباحث إلى أن غالبية مراسلى الصحف الألمانية فى البلدان **العربية** لا يتكلمون العربية .. باستثناء مراسلة مجلة دير شيجيل بالقاهرة ، ورغم أن معظمهم يقضون فترات لا تقل عن سبع سنوات فى المنطقة العربية ، كما أن غالبية المحررين المهتمين بقضايا العالم العربى . فى مقر الصحف الألمانية . لا يعرفون اللغة العربية ، بالإضافة إلى عدم وجود مصادر صحيحة للمعلومات لدى المراسلين والمحررين الذين أجريت معهم المقابلة . ماعدا اثنين . فيما يخص المنطقة العربية والعالم الإسلامى ؛ وبالتالى فإن (المعرفة العلمية والإلمام باللغة العربية والعمل الطويل لسنوات فى مكان الأحداث) هى العوامل الوحيدة القادرة على إضفاء الموضوعية على العمل الصحفى [١٣] .. ففى الوقت الذى يتعلم فيه الصحفيون المبادئ العامة للمهنة مثل الحياد والموضوعية والتوازن فإنهم يفتقرون فى العادة إلى الخلفية المعرفية ، بما يسمح لهم بتقديم تغطية إعلامية أخلاقية ومهنية ،بل إن الدراسات المتعلقة بالإسلام تظل موضوعاً جانبيّاً لدى الإعلاميين الغربيين ،كما تفتقر المؤسسات التعليمية الغربية إلى تقديم تكويناً علميّاً لطلبتها فى مجال الصحافة والإعلام فيما يتعلق بالإسلام .

٢ – المصادر الإخبارية :

يتساءل الباحث فى الدراسه السابقة ، عن كيفية حصول المراسل الصحفى الغربى على المعلومات الصحيحه حول الأحداث الجارية فى المنطقه الغربية دون

معرفة اللغه العربية ... فقد أظهرت المقابلة الشخصية مع معظم المراسلين والمحررين الألمان أنهم يحصلون على أخبارهم ومعلوماتهم من الصحف الأجنبية، حيث تأتى جريدة (لوموند) الفرنسية فى مقدمة الصحف التى يعتمدون عليها فى تغطية قضايا العالم العربى والإسلامى ، ثم (فايننشال تايمز) البريطانية ، ومجلة (تايم) (ونيوزويك) الأمريكتيين ، ومن الصحف الألمانية مجلة (ديرشبيجل) وصحيفة (زود دويتشة تسايتونج) إلى جانب صحيفة (بيلد) الشعبية واسعة الإنتشار .. وقد أجاب البعض الآخر من المحررين والمراسلين بأنهم يحصلون على معلوماتهم وأخبارهم بالإتصالات الشخصية ، ويرى بعض الصحفين أن الطرق الشرعية للحصول على الأخبار هى التليفزيون والراديو ووكالات الأنباء ، إلى جانب الصحف الأجنبية) إلى جانب المناقشات التى يجريها مع زملائه المراسلين الأجانب ، مما يؤكد أن فرص حصول المراسل أو المحرر على الأخبار من مصادرها الصحيحة ومن قلب الحدث تكون قليلة جداً.(١٤)

يرى الباحث الأمريكى المعروف "بول فيندلى" أن الاختلاف الثقافى والدينى يُعد سبباً لتشويه الصورة التى يقدمها الإعلام والغربى بصفة عامة ، لأنه غير قادر على تفهم طبيعة الدين والثقافة الإسلامية ، ودون مبرر أو سبب إلا مجرد الإختلاف (١٥) ، ففى ألمانيا . على سبيل المثال . مازالت نسبة المهاجرين بصفة عامة العاملين فى مجال التليفزيون أقل من٣ % مع العلم أن نسبتهم فى المجتمع الألمانى تبلغ ٢٠ % من سكان ألمانيا وفق تصريحات وزيرة الدولة الألمانية لشئون الاندماج ماريا بومر عام ٢٠٠٧م .. وفى مجال الصحافة أقر الاتحاد الألمانى للصحفيين بأن نسبة المهاجرين بين الصحفيين المثبتين ، الذين يعملون بالقطعة مازالت عالية نسبيّاً ، فضلاً عن أن عملهم ينحصر فى مجالات ضيقة (١٦) فما زال عدد كبير من صانعى الإعلام الغربى يؤكدون على وجود ثقافة غربية مما يشير إلى نزعة للإشادة بالذات الأوروبية وانتقاص من قدر الأخرين فى بعض الأحيان .

وقد أدى الضعف الشديد فى تمثيل المسلمين فى الإعلام الأوروبى والغربى بصفة عامة إلى غياب وجهة النظر المسلمة للدفاع عن حقوق ومصالح المجتمع المسلم عبر وسائل الإعلام المختلفة ، ومن ثم إفساح المجال أمام الأفكار المعادية للإسلام أن تكون الأعلى صوتاً والأكثر انتشاراً .. ولكن المؤسف حقاً هو أن بعض المنتسبين زوراً للإسلام تتاح لهم فرصة الظهور فى وسائل الإعلام الغربية والتمتع بشعبية كبيرة ، على خلفية الترويج للأفكار المعادية للإسلام ، بدلاً من التعبير عن الفئة التى من المفترض أنهم يمثلونها –المسلمون– فراح من يُطلق عليهم بـ (نقاد الإسلام) أمثال الكاتبة الألمانية من أصل تركى نجلا كليليك والكاتب المصرى حامد عبد الصمد) والألمانية من أصل تركى سيران أتيس . صاحبة كتاب (الإسلام بحاجة إلى ثورة جنسية)، يقومون بدور الشاهد الملك أى الإعتراف بأخطاء المسلمين من داخلهم ، وأحياناً مهاجمة الإسلام ويعتبرهم شهداء للحرية [١٧] فى حين أن الشهود الأخرين أى المسلمين الذين يتبنون وجهة النظر الإسلامية ويدافعون عن دينهم ومجتمعاتهم عبر الإعلام الأوروبى ، فإنهم يتهمُون بالمثالية أو بالنزعة التقليدية والحنين للماضى ، وبالتالى يتم تجاهلهم والاستخفاف بآرائهم ، وبالتالى التأكيد مجدداً على أن أغلب التصورات السلبية فى الإعلام الغربى عن الإسلام ترجع إلى الثقافة السائدة هناك منذ عقود فى (المجال السياسي والمؤسسات التعليمية ، ولدى الكنائس والنخب الثقافية ، إلى جانب الخطاب الشعوبى عن الإسلام المنتشرة عبر صفحات الإنترنت) ، وبالتالى فإن وسائل الإعلام من التليفزيون والإذاعة وصحافة تمثل جزءاً فقط من مجتمع معرفى متكامل ، ينزع فى أغلبيته إلى المحافظة على الإسلام (كعدو) للحداث . [١٨]

ثانياً : العوامل المؤثرة فى مضمون الرسالة الإعلامية

وتضم هذه المؤثرات ثلاثة مستويات :

المستوى الأول (الأقل تأثيراً) : ويتناول تأثير الأفراد العاملين فى مجال الصحافة والإعلام ، خاصة المحررين ومقدمى البرامج والمعدين ، وهؤلاء تنعكس

خلفياتهم الفردية والمهنية فى الإنتاج الإعلامى المقروء أو المرئى ، إلى جانب الاتجاه الأيديولوجى والسياسى للصحفى والإعلامى ، وقد وضح ذلك الاختلاف فى النقاشات التى دارت إعلاميّاً حول قضية سلمان رشدى أو خلال أزمة الرسوم المسيئة للرسول ﷺ وغيرها .. لذلك فالموضوعات القديمة التى تطرح خطاباً إعلاميّاً سلبيّاً تجاه الإسلام مازالت مستمرة ، حتى مع ارتفاع (عدد المتخصصين فى اللغة العربية والباحثين المتخصصين فى الدراسات الإسلامية ومشاركة المهاجرين المسلمين فى العمل الإعلامى) لم يغير ذلك جوهريّاً من المضمون السلبى عن الإسلام ، وبالتالى يظل تأثير القناعات الشخصية والتوجيهات الثقافية والفكرية للإعلامى الغربي قائماً حتى الأن .

المستوى الثانى (المستوى الوسيط) : والمقصود به تأثير المؤسسات الإعلامية (مصادرها ، سياستها التحريرية ونمط الملكية والإدارية وعوامل السوق الإعلامى على اعتبار أن الإعلام صناعة أيضاً) ويتم عملها على النحو التالى :

١. يتم تدخل المؤسسة الإعلامية فى العمل من خلال التهديد بفرض عقوبات مالية فى حالة مخالفة الصحفى أو الإعلامى للسياسة التحريرية ، مما يدفع الصحف إلى ممارسة الرقابة الذاتية بالسير على نهج المؤسسه التابع لها ، حتى وإن كان يخالف وجهات نظرة ، وهكذا يمكن ملاحظة تراجع فى الحرية الفردية للإعلامى ، خاصة مع الاعتبارات التجارية والاقتصادية للمؤسسة التى تتحكم فى دخل العاملين بها ومواردهم المالية .. وفى هذا السياق نجد أن الأزمات المالية دفعت الصحف الغربية إلى السير على درب (الصحف الصفراء) مما أدى (تراجع معايير المهنية والكفاءة) وبالتالى أصبحت القيمة الخبرية (نزاع وسباق) تستمر فى العمل والتأثير فى وسائل الإعلام الغربية على حساب القيم والمبادئ ، وهذا أكبر شيء يضر صورة الإسلام فى الإعلام الغربي ويخضعة لنظرة أحادية سلبية فى إعلام أوروبا وأمريكا. [١٩]

٢- الاعتماد الأكبر على وكلات الأنباء ، كمصدر خارجى للمعلومات ،من خلال تقدمه للصحف ووسائل الإعلام الأخرى تقارير وتخفيضات ومواد أساسية بما يسهم فى بناء حوارات ونقاشات عامة عبر وسائل الإعلام المختلفة ' والتى لا نجد الوقت الكافى لبحث مصداقية أخبار الوكالات ومصادرها الثانوية ، كما أنها تعتمد على التفسيرات والتحليلات التى تقدمها تلك الوكالات ،وهكذا أصبحت طقوس النقل داخل الصحافة بأنواعها المختلفة من أهم أسباب التأثير على مضمون الرسالة الإعلامية المرتبطة بالإسلام . (٢٠)

٣. تلعب السلطة فى المؤسسات الإعلامية دوراً كبيراً فى صياغة الخبر اليومى عن الإسلام والمسلمين ، خاصة خلال الأزمات الكبرى مثل أحداث سبتمبر ٢٠٠١م وقضية سلمان رشدى ومقتل المخرج الهولندى فان جوخ ...)

طلع علينا رؤساء تحرير الصحف الكبرى بافتتاحيات ساخنة ، مبرزين دورهم فى حماية الخطاب النقدى تجاه الإسلام وهو فى أغلب الأحيان خطاب تعميمى يساهم فى تثبيت الاتجاهات السلبية القائمة حول الإسلام .. وسواء تعلق الأمر برئيس تحرير صحيفة (دى نسايت) الأسبوعية الصادرة فى ألمانيا . على سبيل المثال . ثيوزومر خلال أزمة كتاب (آيات شيطانية) الذى حذر من تأثير (الثقافات الأأجنبية) على أغلبية المجتمع الألمانى أو زميلة رئيس تحرير صحيفة (فرانكفورتر الجمانية تسايتونج) . المعروفة برصانتها فراك شير ماخر الذى ربط بعد عشرين عاماً مما كتبه زومر ، بين شباب المسلمين فى ألمانيا وانتشار الجريمة داخل المجتمع هناك .

٤. تتم عملية دعم الخطاب المعادى للإسلام من خلال شبكة من العلاقات غير الرسمية بين بعض وسائل الإعلام الغربية والمثقفين الناجحين فى سوق الصحافة والكتابة ، والذين يحظون بتقدير كبير من جانب مسئولى الصحف ووسائل الإعلام ويسمحون لهم بالتعبير عن مواقفتهم النقدية تجاه الإسلام .. حيث تحتاج

وسائل الإعلام الكبرى إلى النخب المثقفة من أجل إضفاء الشرعية على خطابها والحفاظ على هالة الاستقلال العلمى والعقلى ، ولكن الإشكالية فى هذه العلاقات أن أغلبية هؤلاء المثقفين المشاهير لا ينتمون إلى أى نظام علمى قائم بل هم فى الأغلب كتاب مستقلون بدون انتماء أكاديمى ، ورغم تحليلاتهم المتميزة فى بعض الأحيان ، إلا أنه لا توجد ضمانة بأن أبحاثهم وأطروحاتهم خاصة المتعلقة بالاسلام لها صلة بنتائج الأبحاث العلمية.

المستوى الثالث (الأكثر تأثيراً) :

ويشير إلى تأثيرات المجتمع على مضمون وسائل الإعلام كالتالى :

١. النخب الثقافية والفكرية :

فقد أدلى مثقفون يساريون بدلوهم فى السنوات الأخيرة ودأبوا على توجيه سهام نقدهم للإسلام ، مثل (أليس شفارته) التى تتحدث عن تغلغل إسلامى فى النظام القانونى الألمانى (ورالف جيوردانو) الذى يعارض بناء المساجد لأنه يرى اندماج المسلمين فى المجتمع الألمانى فشل (وهنريك برودر) الذى يحذر فى مجلة (دير شبيجيل) وفى كتبه من الاستسلام للإسلام .. والغريب أن هؤلاء المثقفين قد تحولوا من الدفاع عن قيم التسامح والتحرر فى السابق إلى تبنى مواقف يمنية محافظة ، وقد يرجع ذلك من وجهة نظرهم إلى رفض التهديد الذى تتعرض له القيم التى ناضلوا من أجلها . مثل التحرر والمصالحة مع اليهود من قبل مهاجرين هم أكثر محافظة منهم .. كما نلاحظ أن أصحاب المواقف اليمنية المحافظة يريدون فرض وجهة نظر مسيحية يهودية على السياسة والثقافة والمجتمع الغربى كلة ، ومن هنا تظهر تأثيراتهم فى المضمون الإعلامى . [٢١]

٢. النظام السياسى

ويقصد به تأثير النظام المحيط بوسائل الإعلام ،مثل التصريحات القوية للسياسين الغربيين حول الإسلام ، والتى عرضت طريقها إلى وسائل الإعلام

فالرأى السائد لدى النخبة الحاكمة له تأثير كبير على صورة الإسلام فى الإعلام الغربى ، وهو ما يعنى ضرورة الدخول فى حوار مكثف مع هذه الدوائر السياسية حول الإسلام من أجل تقديم صورة متوازنة عن الإسلام ، ولكن مع ذلك لا نلحظ إجماعاً فى الخطاب السياسي الغربى العام على الخوف من الإسلام ، فهناك علاقات جيدة بين الغرب وبعض الدول الإسلامية وبعض الجماعات الإسلامية خاصة بعد أحداث الربيع العربي ، ويؤكد الباحث الألمانى الشهير (يوخن هبلر) أن السياسة الأمريكية تقوم على التناقض فيما يخص الإسلام ، فالإسلام يتم اعتماده كعدو إذا ماتطلب الأمر حشد المجتمع الأمريكى لحرب ضد دولة مسلمة ، مثل : العراق ، أو أفغانستان .

وفيما يخص التأثير الذى يلعبه النظام السياسي فى تكوين صورة سلبية عن الإسلام لا يحدث كليّاً بشكل عفوى أو تلقائى – كما يقول هبلر – بل أن هناك عوامل أيدلوجية تساعد على ذلك .. مثل وجود إسلامى أصولى وانتشار أفكار عن صراع الحضارات التى دافع عنها (صامويل هانتنخبتون) فبدون (صراع الحضارات الأصولية) لم يكن لصورة الإسلام أن تظهر بذلك الشكل المبالغ فيه فى الإعلام الغربى . (٢٢)

٣ . التأثير المتبادل بين وسائل الإعلام والمجتمع :

فالسؤال المطروح على الساحة الإعلامية حاليّاً فى الغرب ، هو هل يمكن أن تعمل وسائل الإعلام فى بيئة مستنيرة ومتوازنة فيما يخص صورة الإسلام والمسلمين ، فى ظل الإطار الثقافى السائد فى المجتمع الغربى بدءاً من المدرسة مروراً بالأسرة والمفاهيم والأفكارالمنتشرة فى كل مكان فى أوروبا والولايات المتحدة ، خاصة الكتب التى تغذى الكراهية للإسلام والمسلمين ، مثل : كتاب (الغضب والكبرياء) للصحفية الإيطالية المتطرفة اوريانا فلاتشى .

* * *

المبحث الثالث
أحداث ١١ سبتمبر و الصورة السلبية

أولاً : نظرة عامة حول أحداث ١١ سبتمبر :

يرى البروفيسور رانيهارد شولتز أستاذ العلوم السياسية بجامعة برن بسويسرا أن أحداث سبتمبر ٢٠٠١م تماثل فى تأثيرها على العلاقات الدولية أثر حادث سراييفو . الذى أدى إلى اشتعال الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م ، فقد أدى حادث ١١ سبتمبر إلى طرح العامل الإسلامى بالحاح فى الوعى الغربي على كل المستويات أفراداً ومؤسسات سياسية واجتماعية وبحثية . [٢٣]

الموقف الرسمى من المسلمين فى أوروبا بعد ١١ سبتمبر :

اتسم الموقف الرسمى بالتباين ، بين الإسراع فى سن قوانين تعيق نشاط المسلمين وهيئاتهم والهجوم على الإسلام والمسلمين ،ومواقف أخرى تدعو لطمأنة المسلمين وأنهم غير مستهدفين ، ومستوى آخر يدعو للاستماع لوجهات نظر المسلمين .. وتعد ألمانيا نموذجاً لهذا التباين فى الموقف الرسمى ، حيث سارع أوتو شيلى وزير الداخلية الألمانية بالضغط على البرلمان من أجل تمرير حزمة من التعديلات التشريعية ،تدور حول توسيع دائرة الاشتباه والتحقيق مع المنظمات الإسلامية فى ألمانيا وتعطى الحكومة الفيدرالية وحكومات الولايات الحق المطلق فى حل الجمعيات الدينية القائمة ورفض تأسيس أخرى جديدة .. فى حين أعلن رئيس الحكومة المستشار (شرورد) أن حكومته مؤمنة وملتزمة بالتسامح الدينى ، وكان حريصاً ألا يشعر المسلمون فى البلاد أنهم مستهدفون بالاشتباه لمجرد أنهم مسلمون [٢٤] بينما دعا رئيس الجمهورية يوهانس راو .

بالإضافة إلى المثقفين الليبراليين والمتحررين من رجال الكنيسة والموضوعيين من الكتاب والصحفيين ورجال الإعلام- الرأى العام إلى الالتزام بقيم الموضعية

فى تناول الإسلام وغيرها من العقائد والثقافات غير الغربية ، وقيم التفكير العقلانى الهادئ فى أسباب نشوء الإرهاب وطرق مكافحته .

ونلاحظ هنا أنه قد حدثت تجاوزات عديدة من رجال الأمن الألمانى ضد المسلمين بعد ١١ سبتمبر.

كما نلاحظ أن موقف السياسيين المحافظين اتسم بالهجوم الحاد على كل ماله صلة بالإسلام فمن الأمثلة على ذلك موقف النائب عن الحزب المسيحى اليمقراطى فى البرلمان (مارتن هو همان) الذى طالب الألمان بألا يعتبروا المسلمين مؤمنين بنفس الإله الذى يؤمن به المسيحيون ، فالله الذى يعبده المسلمون ليس سوى أحد آلهة العرب القدماء وجاء الإسلام ليجعله إلهاً مركزيّاً للمسلمين وحدهم والمثل الأخر فى هذه الدائرة قدمة سكرتير الحزب المسيحى الاجتماعى ، والذى حذر فيه صراحة من أن المسلمين سيصبحون فى هولندا الجار الغربى لألمانيا فى عام ٢٠٢٠م أكبر طائفة دينية ، وأنه من المحتمل أن يتكرر ذلك فى ألمانيا مالم تحدد الهجرة .. وهو مطلب يلح عليه دائماً خوفاً من اختفاْ صورة الإنسان المسيحى فى ألمانيا لتحل محلها صورة بن لادن !! [٢٥]

أشار إلى هذا التباين فى الموقف الرسمى من الإسلام والمسلمين بعد ١١ سبتمبر، مراقب الاتحاد الأوروبى المسئول عن أحداث العنصرية وكراهية الأجانب . ومقره فيينا . فى تقريرة الذى قدمة إلى الاتحاد ، حيث أكد أن رد فعل أغلبية السياسيين والأعلاميين الأوروبيين يعد رداً إيجابيّاً لما أظهروه من تفرقة فى المفاهيم المرتبطة بالإسلام وأنه لا يعنى الإرهاب،في حين أكد أن بعض البلدان وبعض الأحزاب السياسية فى أوروبا سواء الحاكمة أو المعارضة قد تبنت موقفاً معاديّاً للإسلام واصفة إياه بالإرهاب .

ثانياً: موقف الإعلام الأوروبى من أحداث سبتمبر بصفة عامة :

بالتطبيق على ألمانيا كنموذج نجد أن هناك تبايناً فى موقف وسائل الإعلام الألمانى من معالجة القضايا الاسلامية فى أعقاب أحداث ١١ سبتمر .

١. الموقف الإعلامى المضاد وتمثله على سبيل المثال وليس الحصر جريدة (دى فيليت) وهى من كبريات الصحف الألمانية ، ويشرح ذلك الموقف السيد "هربرت هو بوم" مدير أكاديمية العلوم الإسلامية فى بون بقوله : (إننى شخصيّاً تعرضت لتشويه متعمد من جانب صحيفة (دى فيليت) فقد نشرت الصحيفة تحقيقاً عن الأكاديمية وعن المجلس المركزى للمسلمين فى ألمانيا جاء فيه أننى أطالب بتطبيق الحدود الإسلامية فى ألمانيا .. وهذا لم يحدث مطلقاً فكيف أطالب بتطبيق هذه الحدود فى مجتمع غير مسلم.. كما اتهمت الصحيفة المجلس المركزى للمسلمين فى ألمانيا بأنه فرع للتنظيم العالمى للإخوان المسلمين ، فى حين أنه منظمة ألمانية مستقلة من مسلمى ألمانيا وهو فى تصنيف الحكومة الألمانية ذاتها من أكثر من المنظمات الإسلامية فى البلاد اعتدالاً وإيماناً بالحوار والتعايش وسائر القيم اليموقراطية ويواصل هربرت هوبوم قائلاً : إننى أرسلت ردّاً بصفتى الشخصية كما أرسل المجلس الإسلامى ردّاً مماثلاً للصحيفة، ولكن لم ينشر ولن ينشر . على الأرجح حسب خبرتنا مع هذه الصحيفة وغيرها . فهناك تشويه متعمد وإصرار على إنكار حقنا فى التصحيح وبالتالى يترسخ التشويه ، ويعكس درجة عالية من العداء للإسلام والمسلمين)[٢٦] .

٢. الموقف المتوازن ويمثله كل من :

من أشهرمن يمثل هذا الموقف" هربرت برانتل" كبير محررى الشئون الداخلية بصحيفة (دويتشه تسايتونج) وقال بالنص : إن الخطر الذى يهدد ألمانيا حالياً ليس هو الإنثراكس . الجمرة الخبيثة . ولكنه أسلوب الإعلام الذى لم يعد له هدف سوى تأجيج المشاعر والاستمتاع بنقل مشاعر الحرب والإرهاب... بالصواريخ بمثابة تحريض ضد مصلح الدولة الألمانية . فى إشارة إلى أتام [٢٧] كما يمثل ضده الاتجاه أيضاً مجلة (دى خوخو) الألمانية التى حذرت بعد مرور عشرة أيام من أحداث ١١ سبتمر من التمترس الأيديولوجى ضد الإسلام فى مقال رئيس عن (الإسلام كعدو).

أما رئيس القناة التلفزيونية RTL –قناة خاصة مستقلة – فقد نبه إلى أن هناك (تكتيكاً إعلاميّاً) مقصوداً لتركيز الكراهيه على الطرف الأخر فقط ، ويتمثل هذا التكتيك فى بث صور الطائرات وهى تخترق مبنى التجارة العالمى فى نيويورك ، دون أن يوازن ذلك بث صور الضربات الأمريكية لأفغانستان ونتائج هذه الضربات على الشعب الأفغانى .

٣. الأثار المترتبة على هذا التكتيك الإعلامى :

أ . كراهية الإسلام والمسلمين دون مأخذ واحد على أسلوب الرد الأمريكى ، الأمر الذى ينعكس سلباً على صورة الإسلام والمسلمين فى ألمانيا فى حين تبقى صورة الأمريكى ناصعة البياض [٢٨].

ب . تتأجج مشاعر العامة ضد كل ماهو إسلاى فى أعقاب ١١ سبتمبر .. فهناك مئات من الوقائع عن التحرش بالمسلمين فى الأسواق والطرق العامة والأحياء السكينة ووسائل النقل في ألمانيا .. كما انتقلت مشاعر الغضب إلى رجال الأمن الذين بادروا تلقائيّاً دون أى أوامر أو سند قانونى . إلى التضييق على المسلمين أو توقيفهم فى الشوارع دون سبب جدى ، أو تفتيش بيوتهم بإذن قضائى أكثر من مائة مرة فى اليوم الواحد.

ثالثاً: انتشار موجة العنصرية والكراهية فى معظم دول أوروبا :

ذكرت صحيفة (الميسا جيرو) الإيطالية بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠٠١م أنه قد بدأت تظهر فى كل أوروبا بوادر تنم عن مدى الكراهية التى يكنُّها الغرب للإسلام ، وذلك عقب الأحداث الإرهابية الأخيرة فى الولايات المتحدة .. كما أشارت الصحيفة إلى تقرير المراقب المسئول عن أحداث (العنصرية والكراهية ضد الأجانب بالإتحاد الأوروبى) ، والذى حذر فى تقريره من تصاعد حدة العنصرية فى أوروبا ضد المجتمع الإسلامى كنتيجة لأحداث ١١ سبتمبر .. ويؤكد فى تقريرة أن ظاهرة العنصرية والكراهية ضد المسلمين متفاقمة وتمارس بشكل أكثر

عمقاً فى كل من هولندا والمملكة المتحدة وسويسرا فهناك يضرب المسلمات اللاتى يرتدين الحجاب ، ويتعرضن لكثير من الإهانات والسباب ، بما فى ذلك البصق على وجوههن ، وهذا ماحدث أيضاً فى "بلجيكا وأيرلندا وألمانيا" كما تعرضت سيدتان صوماليتان إلى الرجم بالحجارة فى فنلندا، وحدث ذلك أيضاً لمجموعة من المغاربة بضاحية كورسيكا فى فرنسا ...

وأشار التقرير إلى أن هناك زعماء سياسيون في إيطاليا قد أدلوا بتصريحات ضد الإسلام – فى إشارة إلى رئيس الوزراء الإيطالى آنذاك – الذى تعرض بالهجوم والانتقاد للقيم والحضارة الإسلامية بعد أحداث ١١ سبتمبر، تشير الصحيفة إلى أنه بالنظر إلى صور الأعداء والكراهية ، أنه قد يكون مثيراً للدهشة أن المتطرفين لا يزالون أقلية فى العالم الإسلامى.

رابعاً: أهم اتجاهات الصحف بعد ١١ سبتمبر :

اتسمت معظم المعالجات الإعلامية لقضايا الإسلام والمسلمين فى هذه الفترة بالتعمق والبعد عن السطحية . استمراراً لبعض المعالجات التى بدأت فى بداية القرن ٢١ . إلى جانب تقديم خلفيات للقارئ عن الإسلام وتاريخ العالم الإسلامى وتقديم معلومات تنم عن بحث ودراسة (المراسلين والمعلقين والمحررين) للإسلام والقضايا الإسلامية ... وكانت أهم الاتجاهات فى الصحف كالتالى:

١. فى الأشهر الأولى بعد ١١ سبتمبر .. أخذت بعض الصحف تبحث فى أسباب رفض العالم الإسلامى لسياسات الغرب . خاصة الولايات المتحدة . تجاه القضايا الإسلامية ، وطرق إزالة الحواجز النفسية التى أحدثتها الأفكار المسبقة الراسخة لدى كلا الطرفين .. ويتضح ذلك فى الموضوع . المحايد . الذى نشرته مجلة (دير شبيجل) الألمانية يوم ٢٤ سبتمبر ٢٠٠١م حيث "جاء فيه" إن القارئ المسلم الذى لم يتعرف على الغرب بمشاهدته الخاصة ، من المؤكد أنه سيكتسب الانطباع بأن كل الأخلاقيات قد ضاعت فى تلك الدول اليموقراطية ،ويسود الفكر

المادى وتصبح الجريمة أمراً معتاداً ، وأن المخدرات والجنس أصبحت تهدد الغرب وتهدم الكيان الأسرى فيه ، وأن الغرب يدبر دائماً المؤامرات للاستحواذ على العالم الإسلامى عسكريّاً وتصدير قيمة السلبية المتمثلة فى الفساد الأخلاقى للمسلمين)

٢. الاتجاه الثانى يدعو إلى تبنى المسلمين فى أوروبا فكرة (الإسلام الأوروبى) وهو المصطلح الذى أخذ فى الانتشار بين أبناء الجاليات الإسلامية فى أوروبا فى السنوات القليلة الأخيرة ، والذى يعنى وفق الصحافة الأوروبية . الجسر بين ثقافتين فهو يقدم للشاب المؤمن أسلوباً لاحترام التقاليد الموروثة فى الوقت الذى يعيشون فيه فى عالم مختلف كما أنه يمدهم بالثقة التى تمكنهم من ممارسة شعائر دينهم علانية ،على عكس آبائهم وأجدادهم الذين كانوا يعتقدون أن إقامتهم فى أوروبا مؤقتة ، أما الأبناء فإنهم يعتبرون أوروبا وطنهم.. وتؤكد الصحف فى معالجتها لهذه القضية أن هذا المفهوم مقبول لدى مسلمى أوروبا حيث يرى بسام الطيبى أستاذ العلاقات الدولية بجامعة جوتنجن أول من أطلق مصطلح (الإسلام الأوروبى) أن اندماج مسلمى أوروبا فى مجتمعاتهم يعتمد على تبنيهم شكلاً للدين الإسلامى يعترف بالقيم السياسية الغربية ، وأن المسلمين أمامهم خياران لا ثالث لهما إما الإسلام الأوروبى أو الانغلاق والانعزال عن المجتمع .

ويبرز هذا الاتجاه فى عدة معالجات إعلامية ، أهمها ، ما يمكن أن نطلق عليها دراسة صحيفة لينكولاس لوكيسن ، نشرت بصحيفة (تايم) الأمريكية . النسخة الأوروبية . يوم ٢٤ ديسمبر ٢٠٠١م ، جاء فيها :

أ . أن الجيل الثانى والثالث من مسلمى أوروبا سرعان ما اكتشفوا أن هناك تعارضاً مفتعلاً وغير حقيقى بين التمسك بالدين والاستقرار بالدول الأوروبية ، وهنا ظهرت الحاجة لأفكار جديدة ، خاصة أن أحداث ١١ سبتمبر وما بعدها جعلتها أكثر إلحاحاً .

ب . رغم أن معظم وسائل الإعلام الأوروبية تركز على جماعة هامشية من المتشددين ، فإن الأغلبية الساحقة من المسلمين ينظرون إلى دينهم كدين معتدل ومتسامح ، وأن عقيدة الإسلام لا تمنع انتماء المسلم للوطن الذى يحيا فيه ، فقد أظهر استطلاع للرأى أجرته وكالة (مورى) التى تصدر صحيفة (إيسترن آى) اوسع الصحف الريطانية التى تهتم بالشئون الأسيوية أن ٨٧ % من المسلمين الذين شملهم الاستطلاع يدينون بالولاء لبريطانيا ،رغم أن ٦٤ % منهم يعارضون الضربات الأمريكية لأفغانستان .

ج . إن مفهوم الإسلام الأوروبى يعمل على اندماح المسلمين فى المجتمع الأوروبى وبالتالى حل القضايا الاجتماعية مثل : البطالة والمساواة فى سوق العمل ومشاكل التعليم ... إلى جانب التمثيل السياسى فى البرلمان والمشاركة فى الحكومة على المستوى القومى والمحلى .

نلاحظ أنه توجد خطورة فى ترويج الإعلام لهذا المصطلح بدون توخى الحذر، لأنه يعنى تقديم تنازلات دينية ، حيث يقدم الكاتب أنماط من التفسير الجديد للإسلام على لسان رموز إسلامية فى أوروبا مثل قول أحد مسلمى بريطانيا (إذا كان هناك تغيير اجتماعى فلابد أن يكون هناك تغيير عقائدى وإذا تغيرت الأخلاق يتغير القانون تبعاً لذلك ، لهذا سوف يكون هناك تفسير جديد للإسلام).

تطرقت الصحف الروسية إلى مفهوم (الإسلام الأوروبى) بعد ١١ سبتمر فى إطار معالجتها لقضايا الإسلام والمسلمين ،والتى اتسمت فى معظمها برسم صورة سلبية للمسلمين بسبب الصراع المسلح مع مسلمى الشيشان . حيث أجرت صحيفة (فريميا) حديثاً مع الدكتور(ياكوف فيكشين) المحلل السياسى المعروف فى شهر إبريل ٢٠٠٢م، انطلقت الصحيفة فى إجراء هذا الحديث من فكرة مؤدها أن العالم الإسلامى عامة والإسلام الروسى خاصة لا يمثل كتلة متماسكة ، وأن المسلمين فى روسيا يتوزعون على جملة من التيارات ، لذلك فقد قسم الحديث الصحفى المسلمين الروسى إلى ثلاثة تيارات :

أ . (الإسلام الأوروبى) .. أشار فيكشين إلى أتباع هذا التيار هم المسلمون من مواطنى روسيا ذوى الاتجاهات الأوروبية الذين يحاولون الجمع بين ماهو إسلامى أصيل والقيم الغربية ، وهدفهم إبعاد الإسلام عن الاتهامات الموجهة إليه بالتطرف والإرهاب .. وأنه هناك إقبال كبير على فكرة (الإسلام الأوروبى) خاصة فى جمهورية تتارستان . جمهورية إسلامية تتمتع بالحكم الذاتى فى إطار الاتحاد الروسى . كما أكد فيكشين أن أركان السلطة المركزية فى روسيا الاتحادية تتطلع للتعايش مع الإسلاميين الأوروبيين .

ب . الإسلام القومى .. يرى فيكشين أن الإسلاميين القوميين ينظر إليهم على أنهم متطرفون وإرهابيون ويطلق عليهم أحياناً (الوهابيون) أو السلفيون) لكنهم لا يمثلون الوهابين ولا السلفين حقيقة ، وإنما يستغلون الأمزجة الانفصالية زاعمين أنهم أتباع الحركة الوهابية ... كما يضم هذا التيار وفق هذا التقسيم . الحركه الصوفية ، حيث يدعى الصوفيون أن الطرق الصوفية شيء طبيعى بالنسبة لروسيا .

ج- (الأوروآسيون) ... ويتبنى هذا التيار النظرية القائلة أن الشعوب التى تحتضنها روسيا لها ماض واحد ومستقبل واحد . فهناك قوميات وجماعات عرقية متعددة داخل روسيا الإتحادية

ملاحظات مهمة حول المعالجة الأوربية لأحداث ١١ سبتمبر

١- يعد نموذج الإسلام الأوروبى هذا النموذج المقبول من جانب الصحافة الأوروبية ، حتى فى روسيا . التى تمثل أوروبا الشرقية .

٢- ازدادت نغمة الخوف من الإسلام فى الصحافة الروسية ، باعتباره الخطر القادم بعد ١١ سبتمبر ، حيث حيث تطرح الصحيفة سؤالاً على المحلل السياسى

(هناك أراء ترى أن روسيا ستصبح بلداً إسلامياً بعد خمسين سنة بسبب تزايد عدد المسلمين فيها فهل نحن مستعدون لذلك ؟) فكانت إجابته "إننا مستعدون بدليل أن أركان السلطه يجربون أساليب التعاون السياسي مع المسلمين وقد أثبتت التجارب فعاليتها"

٣- لم تكن صورة الإسلام والمسلمين فى الصحف الروسية إيجابية قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م فقد نشرت صحيفة (نيزا فيسيمايا جازيتا) فى ملحقها بالعدد الثانى لعام ١٩٩٧م مقالاً لرمضان عبد اللطيف النائب بمجلس الدوما - برلمان روسيا الاتحادية- جاء فيه (حين تتناول الصحف ووسائل الإعلام الروسية العديد من القضايا والأحداث الداخلية والدولية بالتحليل تعمد إلى الإيحاء بأن هناك (مسلمون سيئون) و(مسيحيون جيدون)

٤. كما برز اتجاه يتناول الشخصيات والمؤسسات الإسلامية بالرصد والتحليل إلى جانب ظاهرة الإقبال على التدين والالتزام بتعاليم الدين الإسلامى بين الشباب .

٥- قامت عدة صحف روسية بالتركيز على ممارسات الإدارات الدينية واتهام بعضها البعض بالفساد واستغلال أموال الصناديق العربية فى غير أغراضها الصحيحه ، مما أبرز على الساحة الروسية صورة سلبية عن هذه الإدارة الدينية لمسلمى روسيا وأحياناً للإسلام نفسة .. وذلك بسبب الصراع فى الشيشان إلى جانب أحداث ١١ سبتمبر ومحاولة الربط بين الحدثين ، رغم اختلافهما تماماً من حيث الأسباب والظواهر .

٦- بثت وكالة روتيرز للأنباء - والتى توزع مادتها الصحفية على كبريات الصحف فى أوروبا والولايات امنتحدة - تحقيقاً صحفياً من القاهرة بتاريخ ٦ يونيو ٢٠٠٢م تحت عنوان (الوعاظ الشبان .. صوت جديد فى زمن العولمة) تناولت ظاهرة ظهور جيل جديد من الدعاة ، لا يطلقون لحاهم ويرتدون أحدث الأزياء

ويهتمون بتناسق ألوانها مستخدمين كلمات دارجة فى قواميس الشباب ، وأن الفضائيات العربية قد ساهمت فى انتشار هذه الظاهرة من خلال برامج التوك شو ، والتى تحظى بنسبة مشاهده كبيرة ، وأن بعض الدعاة مثل عمرو خالد . قد أنشئوا مواقع لهم على شبكة الإنترنت .

٧. نشرت جريدة (لوموند) الفرنسية استطلاعاً للرأى فى شهر أكتوبر ٢٠٠١م ، أكد أن الأفراد المنحدرين من أصول غير أوروبية يحرصون على الصلاة والذهاب للمسجد وصوم رمضان أكثر من أداء هذه الشعائر عام ١٩٩٤م وقت إجراء آخر استطلاع مماثل ، وأكد الاستطلاع أن هناك اهتماماً متزايداً بشكل ملحوظ فى أوروبا – خاصة بين الطلاب وخريجي الجامعات – بالإسلام ، وفى بريطانيا يزيد عدد النساء اللاتى يرتدين الحجاب فى تلك الفترة عما كان عليه الحال منذ عشر سنوات .

٨. أشارت مجلة (الإيكونوست) البريطانية فى تقرير نُشر يوم ٢ فبراير ٢٠٠٢م إلى أن المساجد فى بريطانيا قد سجلت ارتفاعاً ملحوظاً فى نسبة المؤدين لصلاة الجمعة وكذلك بالنسبة لارتداء الحجاب .. كما حاولت صحيفة (الصنداى تايمز) البريطانية الربط بين ظاهرة الإقبال على التدين و(الأصولية) فقد تعرضت للحديث عن بعض المسلمين فى بريطانيا المشبته فى انتمائهم لتنظيم القاعدة ، حيث يروى زملاء أحد المشتبه في الدراسة أن زميلهم كانت لديه معتقدات دينية قوية منذ الصغر ، وعقب انتهاء الدراسة أصبح أكثر ورعاً وعندما التحق بالعمل بأحد المصانع كان يذهب إلى أحد المساجد حيث درس القرآن وبدأ فى إطلاق لحيته وأخذ يطالب أسرته بالإكثار من الصلاة كما كان يرفض التصوير معتقداً أن الله وحده له الحق فى خلق الصور .

ومن الملاحظ أن تناول الصحف الأوروبية لما يمكن أن نسميه بظاهرة الإحياء أو البعث الإسلامى سواء فى العالم الإسلامى أو مجتمع المسلمين فى أوروبا ، جاء فى إطار إثارة الانتباه إلى هذه الظاهرة كظاهرة دينية يمكن أن تشكل خطراً

على المجتمع الأوروبى فيما بعد ، حيث الربط دائماً بين نظرية التدين والأصولية والتطرف الإسلامى .. خاصة فى ظل الهاجس الذى انتشر فى السنوات الأخيرة فى الأوساط السياسية والإعلامية من تحول المسلمين فى بعض الدول الأوروبية إلى أغلبية . مثل هولندا وألمانيا وروسيا والتى سبق الإشارة اليها فى هذا المبحث.

برزت بعد أحداث ١١ سبتمبر . معالجات صحفية تدعو مسلمى أوروبا إلى الاندماج والتفاعل مع المجتمع الأوروبى ، وتطالب ببحث أسباب العزلة.. فقد أجرت صحيفة (الجارديان) البريطانية استطلاعاً للرأى نشر يوم ١٧ يونيو ٢٠٠٢م أظهر أن ٦٩ % من مسلمى بريطانيا يشعرون أنهم معزلون عن الحياة العامة وعبر ٤١ % من العينة التى شملت ٥٠٠ مسلم فى بريطانيا . عن رغبتهم فى اندماج أكبر فى المجتمع البريطانى .. وتعلق وكالة روتيرز للأنباء على نتائج الاستطلاع . فى برقية بثتها فى نفس اليوم . بأن الاستطلاع أظهر أن ٤٠ % من أفراد العينة يؤيدون مشروع قانون أداء يمين الولاء عند الحصول على الجنسية البريطانية ، بينما رفض٣٩ % من العينة هذا القانون.. بينما أشارت وكالة الأنباء الفرنسية فى تعليقها إلى دعوة بعض أعضاء الحكومة البريطانية للجالية المسلمة إلى مزيد من الاندماج فى المجتمع ، وأنهم حذروا من أن الانعزال يغذى روح العنصرية تجاههم ، ويساهم فى نجاح تنظيمات متطرفة مثل القاعدة .

كما أثارت الصحف الأسبانية فى أوائل شهر مارس ٢٠٠٢م جدلاً واسعاً حول العلاقة بين الحضارات المختلفة ، وسبل تحقيق تكامل المهاجرين فى أسبانيا وخلصت نتائج هذا الجدل إلى صعوبة تكامل المسلمين فى المجتمع الأسبانى بسبب الفروق الثقافية واللغة واختلاف التعليم ، واعتبرت الصحف الإسبانية أنه يمكن قبول بعض (التقاليد) مثل الحجاب ولكن ينبغى عدم الخضوع لتقاليد تتعارض مع حقوق الإنسان ، ودعت إلى ضرورة عدم السماح بقيام (جيتو) إسلامى على الطريقة اليهودية .. ويلاحظ أن إثارة قضية الاندماج فى الصحف الأسبانية ، قد تفجرت فى أعقاب مشكلة التلميذة المغربية (فاطمة الإدريسى)

التى رفض والدها دخولها المدرسة بدون غطاء للرأس (حجاب) مما أدى إلى قيام حملات صحفية ضد الهجرة المغربية من خلال نقل فكرة توحى بالتصادم مع الثقافة الأسبانية .

رابعاً: أهم القضايا فى الصحف الغربية بعد أحداث ١١سبتمبر :

١ـ تصوير المساجد على أنها أركان لتفريغ جيل الإرهابيين:

تصدرت الصفحات الأولى من الصحف الأسبانية فى شهر يونيو ٢٠٠٤م صورة أحد الأئمة من أصل تونسى ،على أساس أنه العقل المدبر للتفجيرات التى وقعت فى ١١ مارس من نفس هذا العام فى أسبانيا وقد نقلت صحف فرنسا خاصة مجلة اكسبريس . الحدث مشيرة إلى أن أسبانيا قد اكتشفت بذهول وجود بؤر للمتشددين الإسلاميين !! وأنها قد فطنت إلى عدم إلمامها بالكثير فيما يقال داخل مساجدها وأن المتخصصين يرون أن ٢٣٥ مسجداً فقط قد تم الإفصاح عنها حالياً أى بالكاد ثلث دور العبادة الموجودة فى أسبانيا ! فقد ظل الإعلام الغربى يغذى هذا الانطباع حتى أصبح المسجد رمزاً للتأمر فى هذه الاثناء ولم يعد مكاناً للعبادة وإلقاء المواعظ .

٢ـ الهجوم على أئمة مساجد والدعاة فى العالم الغربى:

عملت الصحف الأوروبية والأمريكية منذ أحداث ٢٠٠١ على استغلال أى تصريح أو فعل لأئمة مساجد الأقليات الإسلامية لوصف الدعاة بالتحريض على ارتكاب الجرائم والدعوة للعنف والإرهاب أو حتى الخروج على قيم المجتمع الغربى، وطالبت فى كثير من الأحيان بطرد العلماء والدعاة مثلما حدث مع مفتى أستراليا الشيخ تاج الدين الهلالى . مصرى الأصل يحمل الجنسية الأسترالية . وفى نهاية شهر أكتوبر ٢٠٠٦م حيث طالبت الصحف الأسترالية بطرده من البلاد بسبب تصريحاته حول أهمية وقيمة الحجاب والتى جاء فيها (إذا وضعتم اللحم

فى الشارع أو فى الحديقة أو فى أحد النوادى دون تغطيته ثم أتت القطط لتأكله من يتعين علينا أن نلومه ؟ القطط أم اللحم العارى إنه اللحم العارى ،هذه هى المشكله فإذا ظلت المرأة فى حجرتها وفى بيتها وهى ترتدى الحجاب لن تحدث مشكلة) .

وقد تلقت الصحف الفرنسية – بصفة خاصة – نظراً لصدور قانون بمنع الحجاب فى الأماكن العامة فى فرنسا فعملت على تضخيم هذه التصريحات حيث وصفتها (بالفضيحة والإهانة) التى ارتكبها صاحب أكبر منصب مسلم فى قارة أستراليا ووصفت عبارات المفتى بإنها غير مقبولة ولا تنتمى لأستراليا..

٣ـ استفزاز مشاعر المسلمين ، أزمة الرسوم المسيئة للرسول كنموذج

تعاملت الصحف الأوروبية مع الأزمة من بدايتها على أنها قضية تتعلق بحرية الرأى والتعبير حيث ركزت على رد فعل المسلمين المتمثل فى المظاهرات الغاضبة فى كافة أنحاء العالم الإسلامى ومن ثم مقاطعة المنتجات الدنماركية من قبل الشعوب الإسلامية حيث أبرزت التقارير الصحفية أن إجمالى الصادرات الدنماركية للبلدان التى نفذت المقاطعة يبلغ نحو ١,١ مليار يورو وهو ما يوفر نحو ١١٢٠٠ وظيفة ، كما بدأت الصحف الأوروبية تتخذ موقفاً عدائيّاً من الإسلام والمسلمين فى الدنمارك بسبب حرق العلم الدنماركى وحرق بعض السفارات فى العواصم الاسلامية .. ورغم أن الصحيفة التى نشرت الرسوم المسيئة . يولاندز بوست . قد نشرت اعتذاراً باللغة العربية حمل توقيع رئيس التحرير كارسنن بوستى . إلا أن الصحيفة أخذت تدافع عن موقفها معللة بأن رسومات مثل التى نشرتها كانت تنشر فى صحف بعض الدول الإسلاميه مثل(إيران وباكستان والسودان) فلماذا جرى انتقادها عندما نشرت فى الدنمارك .. ولكن السبب الحقيقى فى نشر هذه الرسوم يرجع إلى محاولة محسوبة العواقب وتستهدف إثارة الشعوب الأوروبية ضد المهاجرين المسلمين .. وقد جاء هذا واضحاً فى تحليل صحيفة (واشنطنون بوست) الأمريكية للحدث بأنه (إهانة محسوبة تنتمى إلى تيار التعصب الأعمى

وهى مشكلة كبيرة قائمة رغم عدم اعتراف الدنمارك بوجودها فى أغلب الأحيان) .. والغريب فى الأمر أن بعض الصحف الأوروبية قد أعادت نشر هذه الرسوم دون أدنى اعتبار لمشاعر أو عقائد المسلمين .. مما يعيد إلى الأذهان عهداً من الرسوم المسيئة والمعادية لليهود فى ثلاثينيات القرن العشرين من خلال الصحف النازية والفاشية .. والراجح أنها كانت حملة منظمة وممنهجة بمثابة إعداد للرأى العام ليستقبل حروباً جديدة وموجات طرد بالجملة للمهاجرين المسلمين فى أوروبا .. ومن المعروف أن حرية التعبير فى أوروبا نسبية ومعظم الديمقراطيات الغربية لها قوانينها التى تمنع التعرض بالخطاب أو النشر لبعض الأمور ذات الحساسية الخاصة وبالتالى فإن التيار العنصرى كان هدفه هو أن يصدر للسياسة الاوروبية دوائر الإعلام هناك فكرة أن كل مسلم هو (إرهابى) محتمل أو يكمن بداخله إرهابى ينتظر اللحظة المناسبة وأن المظاهرات التى وقعت فى الشارع الإسلامى والعنف الذى تخلل بعضها هو قرينه للتأكيد على هذا التصور الذى يريدون إلصاقه بالمسلمين.

٤ ـ التصريحات المعادية للإسلام والمسلمين من السياسيين وقادة الرأى:

وذلك دون تفنيد أو توضيح للحقائق أمام الرأى العام الأوروبى فقد سمحت بعض الصحف بالرد فى شكل مقالات رأى أو حوارات لكى تبقى التغطية الإخبارية للتصريحات هى الأكثر تعرضاً من قبل الجمهور ، ومن أهم التصريحات التى أثارت جدلاً واسعاً فى السنوات الأخيرة جاءت تصريحات (سيلفيو بير لكسونى) رئيس وزراء إيطاليا الأسبق عقب أحداث ١١ سبتمبر ببضعة أيام . والتى فتحت الباب لكثير من التصريحات المماثلة والمعادية للإسلام مثل تصريح بوش عن الحروب الصليبية وورومانو برودى، ومارجريت تاتشر رئيس وزراء بريطانيا سابقاً ، ثم تصريحات بابا الفاتيكان وغيرها .. وترجع خطورة تصريحات بيرلكسونى . إلى جانب أنها كانت البداية التى شجعت الكثير من الكارهين للإسلام . إلى أنها جاءت فى الوقت الذى اتجه فيه معظم زعماء العالم إلى التصريح فى وسائل

الإعلام باحترام حقوق الجاليات الإسلامية والفصل بين الإسلام والإرهاب كرسالة طمأنة للشعوب والأقليات الإسلامية .. كما ذكرت الجريدة التى تملكها عائلته أن الإيطاليين يؤيدون ويتفقون مع تصريحاته رغم أنه قد دافع عن نفسه فى مجلس الشيوخ الإيطالى زاعماً أن تصريحاته قد تعرضت للتحريف وأنها انتزعت من سياقها .. كما ترجع خطورة إبراز تصريحات بيرلكسونى إلى أنه قد صرح أيضاً للصحفيين الإيطاليين الذين قامو بتغطية زيارته لألمانيا قائلاً : " إن الغرب مرشح للاستمرار فى تغريب الشعوب والتأثير عليها وقد قام بذلك مع العالم الشيوعى ' كما قام به مع العالم الإسلامى الذى يتوقف عند القرن الخامس عشر " .. مما يؤكد أن تصريحاته الأساسية . التى تناولت تفوق الحضارة الغربية والتى تملك قيم وتقاليد لا توجد فى الحضارة الإسلامية أو فى الدول الإسلامية على حد قوله لم تكن عفوية ولم تتعرض للتحريف كما زعم .

٥ ـ استخدام الحجاب كرمز للتطرف:

هناك عشرات المقالات والتقارير التى صارت على هذا النهج فى الصحافة الغربية خلال العشر سنوات الأخيرة وكان الهدف طبعاً هو تقديم صور سلبية ومتحيزة للمرأة المسلمة .. فقد وجهت (إيرينة شنايدر) أستاذة الدراسات الإسلامية فى جامعة جوتنجن الألمانية انتقاداً إلى الصحف الأوروبية لعدم اكتراثها بالحديث عن التطورات الإيجابية لصالح النساء العربيات ، وأكدت أنه لا يزال يوجد الكثير من الكليشيهات . الأحكام الجاهزة . عن النساء العربيات فى تقارير الصحفية [٢٩] .

لكن أكثر النماذج الصحفية التى تعرضت لموضوع الحجاب مستخدمة التحريض الرخيص والإثارة الصحفية والإسفاف واللجوء إلى الافتراء والتقليد، هو المقال الرئيسى لمجلة (دير شبيجيل)der spiegel الألمانية الأسبوعية بالعدد الصادر أواخر سبتمبر ٢٠٠٣م الذى يحمل عنوان شامل جامع (المسلمون فى ألمانيا) فقد قام كاتبو المقال بتوجية الاتهامات وترديد الأحكام المتحيزة ضد

الإسلام كما استحدم المونتاج للصور المصاحبة للمقال (مسلمون يصلون بجوار خراف مذبوحة تسيل منها الدماء) وقد قامت الباحثة الألمانية – من أصل إيرانى – (كتايون أميربور) بالرد على ما جاء فى هذا المقال مؤكدة أن المقال يعرض أفكاره بطريقة تكاد تكون مستهزئة وماجنة ويكيل الاتهام لكل امرأة تريد ارتداء الحجاب بالعمل على تقويض الدولة لألمانية ، وينسب المقال إلى فريشتا لودين (معلمة أفغانية لجأت إلى القضاء الألمانى لكى تتمكن من ارتداء الحجاب أثناء التدريس) اعتناق أراء متشددة.. يرى كاتبو المقال أن جريمة لودين أنها لم تستنكر هذا القول المنسوب للخومينى (الذى يرى كما يقول المقال أن حقوق الإنسان ليست سوى مجموعة من المعايير الفاسدة وضعها الصهاينة للقضاء على كافة الأديان).. رغم أن هذا شيء بديهى وهى غير مطالبة بذلك .. وهذا الاتهام ينطوى على مغالطة تاريخية كبرى وينطوى على عنصرية أيضاً إذ عاش المسلمون فى انسجام تام مع أنفسهم ودينهم زمناً طويلاً.

إن حياة المسلمين فى ألمانيا . وأوروبا بصفة عامة لم تعد يسيرة منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ويواجهون تبعاً لذلك مشاكل يومية خاصةً الشعور بامتهان الكرامة نتيجة الغطرسة والجهل فى الحكم على الإسلام ولا سيما مع المرأة المحجبة – غيرالمحجبات تعرضن لمشاكل ومضايقات أقل .

وفى هذه الأجواء . آواخر٢٠٠٣م . نجد كتاب (السخط والكبرياء) للكاتبة المتطرفة أوريا فلاتشى يحقق أعلى المبيعات فى ألمانيا رغم أن عداءه للإسلام يفوق الوصف ،وفى التليفزيون يصرح أحد المثقفين مثل (جونتز كونرت) دون أن يعارضة أحد (أن الإسلام لا يعرف وصية ما تحرم القتل) !![٣٠]

٦ـ الحملات الصحفية ضد الرموز والشخصيات الإسلامية :

إلصاق تهم الإرهاب والتطرف ،فى إطار تخطيط منهجى قامت به الصحف الموالية للصهيونيه والمؤيدة لإسرائيل لتثبيت وتركيز الكراهية والعداء للإسلام فى ضمير ووجدان الشعوب الغربية .. ومن أبرز الحملات الصحفية فى السنوات

الأخيرة تلك التى قامت بها بعض الصحف البريطانية ضد الشيخ يوسف القرضاوي فى يوليو ٢٠٠٤م ، إبان زيارته للعاصمة البريطانية لحضور الاجتماع التأسيسى لاتحاد العلماء المسلمين بلندن ، وكانت التهم الموجهة إلى الشيخ القرضاوى هى الدفاع عن العمليات الاستشهادية . التى اعتبرتها الصحف : تأييداً للإرهاب ومعاداة للسامية ، والحث على قتل الشواذ جنسياً ، وتأييد معاقبة النساء بالضرب .. ويُعد توجيه التهم الثلاث للشيخ القرضاوى من قبيل تأليب الرأى العام الأوروبى ،واستثارته ضدة باعتبار أن ما نسب إليه يعد عدواناً على (ثوابت ومقدسات)أحدث طبعة للحضارة الغربية..[٣١] ولم تكن تلك الظاهرة الإعلامية مجرد مصادفة فقد بدا الترتيب فيها واضحاً بصدور أربع صحف صباحية فى نفس اليوم ٢٠٠٤/٧/٧م حاملة عناوين الإحتجاج والكراهية [٣٢] ومتبنية ذات الحجج والاتهامات ، وكأن رسالة بمضمون واحد وزعت على الجميع ، ثم أعطت إشارة البدء لفتح المعركة فى يوم محدد ، كما لم تكن مصادفة أن تكون الصحف الأربع تحت سيطرة اليمين الصهيونى ، لذلك حظيت مسألة العمليات الاستشهادية بأكبر قدر من الضوء والاهتمام ، من أجل خدمة مصالح إسرائيل وتشويه صورة المقاومة المسلمة بصورة خاصة .. وقد استمرت الضجة الإعلامية بالصحف ووجدت لها صدى فى وسائل الإعلام الأخرى فدخلت الإذاعة البريطانية وقنوات التليفزيون إلى الحلبة ودارت مناقشات مسائية خلال البرامج الحوارية حول نفس الموضوع أضف إلى هذا أسئلة الصحفيين والإعلاميين للشيخ القرضاوى بعد كلمته التى ألقاها في مقر عمدة لندن . للحديث عن إنشاد اتحاد العلماء المسلمين . حتى خرجت الأسئلة بالحديث إلى موضوع العمليات الاستشهادية وتجاهلت الموضوع الأصلى الذى تحدث فيه القرضاوى .. وبناءً على ذلك خرجت الصحف البريطانية التى قادت الحملة الصحفية فى اليوم التالى ٨/ ٧ / ٢٠٠٤م متجاهلة تماماً ماجاء على لسان الشيخ القرضاوى عن زيارته ومهمتة فى لندن وعادت للحديث مُجدَّداً عن رأى الشيخ فى العمليات الفدائية ، وكانت النتيجة اساع دائرة الاهام ليصل البرلمان والدوائر السياسية ، حتى أن الجالية اليهودية قدمت بلاغاً

للمدعى العام ضد الشيخ ، ولم تهدأ العاصفة الإعلامية والسياسية التى صنعتها الصحف الأربعة ، إلا بعد المعالجة المحايدة التى قدمتها الإذاعة البريطانية للموضوع ، والتعليقات الإيجابية لصحيفة (الجارديان) التى نشرت يوم ٢٠٠٤/٧/٩م ، عن المواقف المعتدلة للشيخ ودعوتة إلى الوسطية [٣٣] .

خامساً : صورة الإسلام والمسلمين في التلفزيون بعد ١١سبتمبر .

في نهاية شهر يناير ٢٠٠٢م بثت القناة الفرنسية الألمانية RT مسلسلاً في خمس حلقات عن سيرة النبي محمد ﷺ ويعد هذا العمل من أبرز الأعمال التليفزيونية التي عالجت صورة الإسلام والمسلمين ، حيث تناولت خمس قضايا هي " نحو النبوة " و" الدعوة " و" المدنية " و" الشريعة " و" السلطة ومكة " وأخيراً " القرآن" .. والمسلسل يتضمن سلسلة وثائقية في شكل تعليمي من خلال روايات وشروح علماء الدين والمؤرخين وخبراء من العالم الإسلامي والغربي، وقد استغرق الإعداد لهذا العمل حوالي ثلاث سنوات من العمل والتجوال في عدة بلدان هي سوريا ولبنان وتونس ومصر والأردن إلي جانب كندا والولايات المتحدة ، حيث تضمنت الرحلة التوقف عدة مرات في هذه الدول لرسم ملامح حياة الرسول ﷺ وقام بالتأليف كل من : يوسف صديق – خبير تونسى بعلم الإنسان – إلي جانب شيماسار مينتو وهو مخرج أسباني وتوجرول سيلان وهو منتج تركي ، وقد زاد من أهمية عرض المسلسل . كما يقول يوسف صديق . تجاهل أوروبا تناول هذا العمل ، وقت العرض ، إلي جانب حوادث الحادي عشر من سبتمبر ، والتي دعمت شرعية هذا العمل الذي كان يعتبر في مراحله النهاية وقت هذه الأحداث ، إلى جانب أن تلك الأحداث قد زادت من قناعة فريق العمل بأهمية هذا العمل من منطلق أن فهم الإسلام أصبح أمراً ضروريّاً

وعن الهدف من عرض هذا المسلسل قالت صحيفة "لوفيجاور" الفرنسية بتاريخ ٢٩ يناير ٢٠٠٢م إن الهدف الذي يسعى إلي تحقيقه مؤلفو هذا المسلسل هو عدم الدخول في مهاترات وآراء متعصبة بل هو شرح وتعميم لأصول الإسلام بدءاً

من العناصر التاريخية ، وذلك لمحاربة الأحكام المسبقة عن الإسلام إلى جانب وضع حد لعمليات الخلط في مفاهيمه .. وتشير الصحيفة إلي توضيح أهداف المسلسل علي لسان مدير التنفيذى التابع لقناة RT بقوله " نحن نود العودة إلي جذور الإسلام حتى يمكننا أن نفهم هذا الدين ، عندما نتناوله بالحديث اليوم من منظور الواقع ، حتى نبتعد عن الشك والأقاويل".

ومن أهم المشكلات التي واجهت المسلسل هي :

أ- مشروع المسلسل . قبل العرض . لم يلقي ترحيباً في مختلف المجتمعات العربية ، ويعلق يوسف صديق علي ذلك قائلاً :" لقد تطلب العمل مفاوضات عديدة ، لأنه ليس من اليسير إقناع الأئمة المسلمين بتصوير فيلم عن حياة الرسول للأوربيين ، لقد كان في إمكاننا الكذب بالنسبة لما نقوم به من عمل لنحصل علي تسهيلات أكثر ، ولكننا فضَّلنا ذكر الحقيقة والإقناع مؤكدين بأننا سنقدم هذا العمل بكل احترام ".

ب- المشكلة الثانية: وكانت فنية ، حيث لا توجد صور أو رسوم للرسول ﷺ وقد اعتمد العمل علي النصوص الدينية الأصلية لوصف الرسول ورسم ملامح شخصيتة.. ولتعويض غياب الصور ، نجد الكاميرا تتجوَّل فوق المساجد وفي المدارس القرآنية وفي الصحراء وتحت الخيام ، مع خلفية صوتية لآيات تتلى من القرآن الكريم .. وتعلق صحيفة "جين أفريك" الفرنسية – يوم ١١ فبراير ٢٠٠٢م – مشيرة إلى أن المشاهد الذي يتمتع بثقافة يهودية / مسيحية ، قد يضطرب عند مشاهداته المسلسل من جراء صفة خاصة بالإسلام هي غياب التشخيص للنبي محمد ﷺ ثم يتساءل الكاتب بقوله وفي العمل الفني الذي لا تظهر فيه صورة البطل ، ألا يعتبر ذلك الأمر بمثابة مجازفة ؟ كلا الاحتمالين قائم ، تماماً مثل المجازفة التي شرع فيها خاتم النبيين وآخر الرسل محمد ﷺ ليبني مجتمعاً مُوحَّداً وسط عالم وثني .

ج – ونلاحظ أن هناك اعتراضاً من جانب الصحفية الفرنسية علي موقف الإسلام، الذي يحرم تصوير النبي الكريم أو تمثيل شخصيتة على الشاشة ، فهو موقف ديني بحت ما كان يجب التعرض له في معرض الحديث عن عمل فني..

ولكن الأكثر غرابة هو موقف يوسف صديق . المسلم العربي . ويري أن "التصوير ليس محرماً في الإسلام ولكن التقاليد الإسلامية تحرمه " ، فمن المعروف دينيّاً أن تصوير جميع الأنبياء مُحرَّم لمكانة هؤلاء الأنبياء ، ولا يجوز أن يقوم أحد بتمثيل أشخاصهم علي الشاشة. ويذكر أن يوسف صديق قد قدم مسلسلاً للرسوم المتحركة ، بعنوان " إذا روى القرآن " أدانته المؤسسات الدينية وعلي رأسها منظمة المؤتمر الإسلامي . وذلك حين عرض، وذلك لتشخيصة شخصية الرسول في المسلسل ، لذلك فإنه يقول "هذه المرة قد تسلحنا مسبقاً ضد أي نقد " .

د – نجح المؤلفون في البعد عن الاستغراق في الأسلوب التعليمي للمسلسل في حبك القضية بشكل متضافر علي ثلاثة مستويات :

الأول : وهو الأكثر تأثيراً .. الحديث من جانب البسطاء كالأجداد والأطفال والحرفيين ورعاة الأغنام عن سيرة الرسول ﷺ والذين يتوحدون مع شخصية الرسول وبالتالي يستطيعون استرجاع سيرته في حياتهم في جميع المراحل العمرية .

والمستوى الثاني : أحاديث العلماء والخبراء المتخصصين من جميع الجنسيات. أما المستوى الثالث : هو النصوص الإسلامية : القرآن ، والسنة ، وكتب التاريخ، والسيرة .

هـ – أجرت القناة التليفزيونية دراسة مفصلة لقياس كثافة المشاهدة . من أجل التعرف علي ردود أفعال الجمهور ، وقد أكدت الدراسة أن كل حلقة جذبت عدداً من المشاهدين بلغ متوسطة 850 ألف مشاهد (٦٥٠ ألفاً في فرنسا و٢٠٠ ألف في المانيا ، كما وصل إجمالي عدد المشاهدين لمجموع الحلقات ١.٣مليون

مشاهد ، منهم ٣.٤٥٣ % من المسنين ، و٥٩ % منهم من النساء .. ومن المعروف أن القناة الفرنسية الألمانية RT لا تحدد نوعية برامجها علي أساس كثافة المشاهد ، ولكن تقدم برامج ثقافية لا تقدمها القنوات الأخرى ..

تقييم المسلسل

جاءت صورة الإسلام والمسلمين في هذا المسلسل إيجابية إلي حد كبير ، فالرسول في المسلسل ، شخصية تاريخية بشرية وإنسانية ، وليس إلهاً أو ابن الله، كما يرى المسيحيون طبيعة المسيح ، وهو زعيم له تاريخه الخاص المليء بالأحداث ، له أصدقاء وأعداء يعرف المشاكل الأسرية ، جاهد بنفسه وقاد القرارات ، وضع أساس وقواعد إقامة الدولة بالمفهوم السليم للكلمة ، واجه صعوبات في سبيل نشر الرسالة .. ولكن هناك بعض الجوانب السلبية في صورة الرسول في المسلسل . كما ذكرت صحيفة "جين أفريك" حيث أشارت إلي أن الفيلم لم يتردد في إحصاء أخطاء النبي محمد ﷺ وانفعالاته ومخاوفه .. كما تأخذ الصحيفة علي المسلسل .. من وجهة نظرها . عدم عقد مقارنة بين الإسلام والمسيحية ، وتري المشاهد المسيحي الذي تعلم أن "يسوع" هو ابن الله بل هو الله نفسه ، يمكن أن يشعر بالتشويش وإن كانت عملية عدم المقارنة هذه، تعد نقطة إيجابية أيضاً حتى تجنب المسلسل الحملات الإعلامية المضادة خاصة في وقت أصبح فيه حساسية شديدة للإعلام الأوروبي تجاه كل ما هو إسلامي .

وجدير بالذكر أن صحيفة "جين أفريك" قد نشرت رسماً مصاحباً للمقال السابق يصور الرسول الكريم وهو يتلقى الوحي من جبريل ، وحول هذا الرسم بعض الكتابات باللغة الفارسية .. ويرى المحللون أن نشر هذه الصورة يعد استفزازاً واضحاً للمسلمين وللقيم الإسلامية ، رغم علم كاتب المقال أن ظهور صور للرسول يعد أمراً محرماً في الإسلام .

تناول التلفزيون في أوروبا من خلال برامجه وأفلامه . بقدر من التركيز موضوع " النساء المحجبات " في الدول الإسلامية ، من خلال الربط المقصود بهدف التعميم ما بين المرآة المسلمة والحجاب باعتبار أن المرأة المسلمة المتمسكة

بحضارتها ومنفتحة إلي حد ما علي الغرب ، هي عقلية ممزقة بين التقاليد والحداثة .. ومن أمثلة ذلك البرنامج الذي بثته إحدى القنوات الفرنسية صيف ٢٠٠٣م تحت عنوان " الإسلام من منظور النساء " وهو سهرة خصصت للحديث عن بنات الرسول ﷺ من إخراج ثلاث نساء من تركيا وباكستان وإيران، ذهبت كل واحدة لإجراء مقابلات مع نساء محجبات من بلدها وتتحدث المخرجة التركية "هاتيس أتين" عن تجربتها الشخصية وأسلوب تربيتها وتذكر أن والدتها قد أكدت لها أن الحجاب ليس مفروضاً ، وليس لأنها مؤمنة بل هي مسألة تعود وأنها لا تظن أن تلك القماشة هي التي ستفتح لها أبواب الجنة " !! ورغم عرض الفيلم لنماذج إيجابية للمرآة المحجبة في البلدان الثلاثة ، إلا أنه استعرض نماذج أخرى للمرآة المسلمة المضطهدة والمقهورة . (٣٥)

وفي نفس السياق تم بث فيلم تسجيلي بعنوان "المياه الساكنة" من إخراج "صبيحة سومار" . باكستانية الأصل . من خلال نماذج للمرآة المسلمة المدافعة بحرارة عن "الإسلام " ولكنها تشير "بشيء من المعاناة " إلى أحوال المرآة في باكستان ، والتي قد يستوعبها المشاهد الغربي علي أنها بسبب الإسلام،فقد أصبح الحجاب كما ذكرنا سابقاً رمزاً لاحتقار المرأة ومعاناتها!!(٣٦)

ذكرت دراسة حول صورة الإسلام في القناتين الأولي والثانية بالتليفزيون الألماني ZDF , ARD ما بين عامي ٢٠٠٥- ٢٠٠٦ أن النزعة العدائية تجاه الإسلام قد زادت في التلفزيون الألماني بعد أحداث ١١سبتمبر ، فهناك أكثر من ٨٠ % من البرامج والتقارير الإخبارية "حول الإسلام" في تلك القناتين تحفل بالموضوعات السلبية مثل الإرهاب والصراعات الدولية وعدم التسامح الديني والأصولية ، إلي جانب قمع المرآة ومشاكل الاندماج وحقوق الإنسان.(٣٧)

من أبرز الأفلام التي أثارت جدلاً واسعاً فيما يتعلق بالإسلام في السنوات الأخيرة ، فيلم " الفتنة " للسياسي الهولندي العنصري "جيرت فيلدرز" ، وهو فيلم قصير (٧١ دقيقة) تم بثه علي جزأين ، الأول يستخدم أحد الرسومات الدنماركية

المسيئة للنبي ﷺ والتي تظهره يرتدى عمامة فيها قنبلة علي وشك الانفجار ، ثم صوت إمام في المسجد الحرام يتلو آيات من القرآن الكريم تدعو للقتال ، ثم تظهر صورة لضرب المركز التجاري بنيويورك يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، يتبعها خطبة لشيخ ينادي بالجهاد في فلسطين ، ثم صورة لطفلة محجبة ٤ سنوات تتحدث عن المسخ إلى قردة وخنازير إيماء إلى اليهود .. وفجاءة تصدر موسيقي صاخبة ودعوة باللغة العربية لرجل ملتح لقتل اليهود، وتتداخل معها صورة للجيش النازي يؤدي التحية لهتلر ، ثم مشهد آخر لقراءة القرآن من الحرم المكي يتلو آيات عن اليهود والنصارى والحرب ، الخلفية بها صور لضحايا انفجارات لندن ومدريد .. وتتولي صورة قراءة القرآن من الحرم المكي ومن خلال آيات الجهاد والقتال للمشركين ، كما تظهر مع قراءة آية {فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} صورة المخرج الهولندي "ثيوفان جوخ" والذي قُتل علي يد شاب مغربي ، وهنا يكرر الفيلم كلمات الشاب المغربي (سأقتله ثانية لو عاش) وتتلاحق بعدها الصور لرجل أمريكي قطعت رأسه في العراق لتغرق الشاشة بالدم رغم ما قيل عن احتمال أن تكون الصور مفبركة وغير صحيحة ، وينتهي الجزء الأول بصوت انفجار وصفحة قرآنية مفتوحة وتمتد يد لتقلب صفحة المصحف ، وتظهر الشاشة سوداء ليسمع صوت تمزيق ورق وعبارة (فلتمزقوا هذا الكتاب) ، هذه " دعوة للحرية " .

وفي الجزء الثاني يتناول المخرج أعداد المسلمين في هولندا وأوروبا عموماً، ثم مشاهد عنف وقتل أحياناً ، وعناوين للصحف الغربية، إلي جانب الدعوة لقتل مخرج الفيلم نفسه (فيلدرز) كما ناقش الفيلم رفض المجتمع المسلم في الغرب للعلاقات الجنسية بدون زواج .. وفي نهاية هذا الجزء دعوة لتمزيق المصحف أيضاً من خلال النص التالي (انتهينا من الفاشية والنازية ، ولا بد أن ننتهي من أسلمة أوروبا)..[٣٨] والفيلم لم يقدم جديداً ، بل هو يعد عملاً ضعيفاً فنيّاً ومهيناً، ولكنه حاول التركيز علي فكرة القتل في القرآن !!

في المقابل هناك بعض الأفلام التسجيلية الإيجابية عن الإسلام ، مثل الفيلم الذي تم بثه عام ٢٠٠٨م علي موقع "اليوتيوب" علي شبكة الانترنت والذي يتناول سر إسلام العالم التشيكي "ميلان شولتس" بما يغني عن ألف خطبة ، والذي أكد أنه كان يحمل صوراً سلبية جداً عن الإسلام وأنه كان يعتقد أن محمداً ﷺ هو من كتب القرآن ، ولكن عندما قرأ ترجمته إجتاحه شعور عارم بأن هناك قوة معرفية كونية لا مثيل لها وراء هذا القرآن ، فسارع ناطقاً بالشهادتين فوراً.(٣٩)

سادساً : صورة الإسلام والمسلمين في السينما الغربية بعد أحداث سبتمبر

منذ هجمات ١١ سبتمبر أصبح المواطن العربي والمسلم ضيفاً شبه دائم على أفلام السينما الغربية التي استهدفت صورة العرب والمسلمين :

١- السينما الأمريكية (هوليوود) :

أ- فيلم "مملكة الجنة " Kingdom of Heaven ، والذي استقبله النقاد العرب عند الإعلان عن بدء تصويره بعاصفة من الاستهجان بدافع نظرية المؤامرة وإمكانية تشوية صورة المسلمين من خلال الفيلم ، ولكنهم فوجئوا بعد عرض الفيلم في مايو ٢٠٠٥م بأن الفيلم قدم المسلمين في صورة جيدة من خلال الناصر صلاح الدين ، والذي ظهر كقائد عسكري مثالي .

في حين جاءت الشخصيات الغربية التي أدارت الحروب الصليبية جشعة ونهمة لسفك الدماء فثارت ثائرة الغرب ضد المخرج "ريدلي سكوت" ، واتهم بمغالطة التاريخ ، لأنه قدَّم المسلمين بالصورة الحقيقة المشرقة.(٤٠)

أما فيلم "رحلة طيران" Flight plane يتعرض لقضية الاتهام المسبق دون أدلة للعرب بأنهم إرهابيون ، من خلال طائرة أمريكية تتعرض للاختطاف ، ولأن علي متنها عرب ، فإن الطبيعي هو اتهام البطلة للعرب بخطف ابنتها ، بناءً علي الأكليشيهات الجاهزة لإلقاء المسئولية علي العرب والمسلمين حال وجودهم في أي

مكان تقع فيه جريمة .. ويحاول فيلم أن يقول أن العرب والمسلمين أبرياء في الواقع ولكن ملامحهم الشرقية فقط هي التي دفعت بعض الركاب لاتهامهم دون دليل . نمط الشك والريبة .

أما فيلم "سيريانا" للمخرج "ستفين جاجان" فرغم أن أحداثه تدور حول الإرهابي العربي " محمد عجيزة " إلا أن الفيلم يرى أن ليس كل العرب إرهابيين أو أشرار . يرفض نمط التعميم .

كما أن الفيلم يكشف الوجه القبيح للعم سام الأمريكي الطامع في نفط العرب ، ومن أجل ذلك يخوض الحروب السياسية والعسكرية في الشرق الأوسط ، وأن المصلحة النفطية تفوق كثير من المصالح الوطنية والسياسية ، ولذلك اتهم بطل الفيلم . الذي عرض في نوفمبر ٢٠٠٥م – "جورج كلوني" بخيانة وطنه بسبب تركيز القصة التي كتبها كلوني أيضاً علي الشخصيات الأمريكية التي تخوض لعبة قذرة في عالم البترول لجني ثروات تقدر بالملايين من الدولارات.

وفي مطلع عام ٢٠٠٦م تم عرض فيلم (البحث عن كوميديا في العالم الإسلامي) الذي تدور أحداثه في إطار كوميدي ، حول رغبة الإدارة الأمريكية في تحسين صورتها لدى العالم الإسلامي ، فترسل مبعوثاً خاصاً لتحقيق هذا الهدف ، ومن خلال العمل السينمائي يحاول المخرج الأمريكي "البرت بروكس" مغازلة العرب والمسلمين بعد تاريخ طويل من التشوية للإسلام والمسلمين في سينما هوليوود . كما سبق .

ويعد فيلم "ميونخ" بمثابة قنبلة في وجه الصهيونية الذي يتناول حادث إغتيال مجموعة من الفلسطينيين لأحد عشر لاعباً إسرائيلياً في حادث تفجير بدورة الألعاب الأوليمبية عام١٩٧٢م ، وذلك لأن مخرج الفيلم الأمريكي "ستيفن سبيلبرج" اعتمد في تقديم الفيلم علي كتاب "الانتقاد" الصادر عام ١٩٨٤م ، والذي يحتوى علي اعترافات قاتل بالموساد انشق احتجاجاً علي أساليب إسرائيل العدوانية ، وقد أدى ذلك إلي قلب الأوضاع عليه "المخرج" في إسرائيل ، والذي عرف عنه

ميوله نحو تأييد اليهود والتعاطف مع الفكر الصهيوني ، خاصة ما يسمي "الهولوكوست" التي جسدها في فيلم " قائمة شيندلر" عام ١٩٩٣م ، الحاصل علي عدة جوائز أوسكار ، ومن المعروف أن "سبيلبرج" قدَّم جهوداً متميزة للسينما الإسرائيلية من خلال إقامة أرشيف الفيلم اليهودي. (٤١)

٢ـ الأفلام الأوروبية

احتلت القضية الفلسطينية حيِّزاً من اهتمام السينما الأوروبية ، ومن أهم هذه الأفلام ، الفيلم الإيطالي (خاص) الذي تدور أحداثه حول عائلة فلسطينية تحتل القوات الصهيونية بيتها، وتفرض علي العائلة الفلسطينية أن تقيم مع عائلة يهودية ، وقد أثار الفيلم الذي يرمز لضرورة أن يقبل الفلسطينيون بالوضع الحالي ويعيشوا مع الطرف الإسرائيلي وكأنه صاحب حق انتقادات واسعة خاصة ضد بطل الفيلم الفلسطيني "محمد بكرى" باعتباره قد خان القضية الفلسطينية ، والفيلم الثاني هو "الجنة الآن" للمخرج الفلسطيني هاني أبو أسعد ، وهو أنتاج اسرائيلي فرنسي الماني مشترك ، ويعرض لقصة شابين من فلسطين يستعدِّان لتنفيذ عملية استشهادية ضد العدو الصهيوني ، ورغم إشادة النقاد العرب والغربين بالفيلم ، إلا أنه أثار موجة من الجدل في الدول العربية بعد أن أكد مخرج الفيلم . الذي كُرِّم في مهرجان برلين ٢٠٠٥م بحصوله علي ثلاثة جوائز ،أن العمليات الاستشهادية تؤجج الصراع العربي الإسرائيلي ولا جدوى منها !! وهو الأمر الذي جعل المخرج جديراً بالتكريم بل والحفاوة نظراً لجهوده الفنية المنحازة ضد الجانب العربي والفلسطيني.(٤٢)

الفيلم البريطاني " قوة الكوابيس " والذي عرض في مهرجان "كان" صيف ٢٠٠٥م ، ويتناول هجمات الحادي عشر من سبتيمر ٢٠٠١م ، مؤكداً أن ما قامت به الحكوماتان الأمريكية والبريطانية من إجراءات مشددة تحولت إلى ذعر مما عرف بالإرهاب ، ليس سوى لعب علي دافع الحاجة للأمان ووهم صنعته الإدارة الأمريكية.

وجاء فيلم "بذور الشك" للمخرج المصري المقيم في فرنسا سمير نصر (إنتاج ألماني فرنسي) ، وتتناول أحداث الفيلم حياة المهاجرين العرب والمسلمين في الدول الأوروبية بعد أحداث ١١ سبتمبر ، حيث أصبحت كلمة "مسلم" تحمل دلالة سياسية أكثر منها دلالة دينية.(٤٣)

وفي هذا الإطار اهتمت السينما الألمانية بمعالجة قضية المهاجرين المسلمين في ألمانيا ، من خلال الأفلام التي قدمها مخرجون من أصل تركي ، خلال السنوات الأخيرة التي تلت أحداث ١١ سبتمبر ، وقد تغيَّرت موضوعات الأفلام التي تناولت المهاجرين ، من الشعور بالغربة أو المعاملة كأجنبي ، كما كان الحال في العهود الثلاث الأخيرة من القرن الماضي ، إلى مناقشة قضية الصراع بين قيم الثقافة الإسلامية وتقاليد البلد الأم من ناحية وبين قيم وثقافة المجتمع الأوروبي .. يتم تركيز الأضواء علي الفتيات المسلمات وتعرض هذه الأفلام لنماذج مُشوَّهة وساقطة وخارجة عن القيم والفضائل الأخلاقية علي اعتبار أنها تعاني من الموروث الثقافي، فقد تغيرت الموضوعات والقضايا ولكن الصورة ما زالت سلبية إلا حد كبير وما زالت الأحكام جاهزة ومسبقة (صور نمطية مثل الأكليشيهات) .. ومن الأمثلة علي ذلك فيلم "الغريبة" عن قصة سيدة تركية تهرب من " قهر " الزوج واستبداده في إسطنبول إلى والديها في ألمانيا ، ولكنهما لا يوافقان علي فعل الابنة المضطهدة ، فتلجأ إلي أحد بيوت مساعدة النساء وتتورط في علاقة غرامية آثمة مع شخص ألماني ، مما يلطخ شرف العائلة الذي لا يمكن تطهيرة إلا بالدم.. ويرى الفيلم أن القصة تحاول كسر حواجز " التعصب " الموجودة في المجتمع داخل ألمانيا وفي هذا السياق يأتي فيلم " أيلا " للمخرج التركي "سوتورهان" الذي ترفض فيه البطلة قيود والدها الصارم، فتقرر أن تعمل ليلاً في أحد النوادي الليلية مرتدية زيّاً مثيراً وباروكة ، رغم أنها تعمل صباحاً في مدرسة للتمريض ، ويعمل الفيلم علي فتح نافذة علي مجتمع المهاجرين الأتراك(٤٤)

أما المخرج الأفغاني الأصل "برهان قرباني " فقد حاول في فيلمه " شهادة " أن يطرح التناقضات التي تولدها كل من الثقافة الألمانية والإسلامية داخل المسلم

المقيم في الغرب ، من خلال التركيز علي ثلاثة مسلمين غير أسوياء محملين بمشاعر الذنب ، أحدهما شرطي من أصل تركي قتلت رصاصة طائشة من مسدسه جنيناً في بطن أمه ، والثاني شاب نيجيري يصارع ميولة الجنسية الشاذة ، والنموذج الثالث ابنة إمام مسجد في ألمانيا تحب المتعة الحرام ،اتجهت للأصولية، بعد جراء عملية إجهاض .. وفي سياق استعراض نماذج سلبية للمهاجر المسلم ، يأتي فيلم " الألباني" الذي يغوص في عالم المهاجرين غير الشرعيين ، من خلال قصة مؤثرة لرجل مسلم من ألبانيا حاول كسب المال في ألمانيا ، بهدف الحصول علي تكاليف زواجه ، دون الاكتراث بالاعتبارات الأخلاقية ، وفي النهاية يدفع الثمن باهظاً مقابل ذلك ، ، حيث الفقر والبطالة والعمل خارج إطار القانون والأعمال غير الشرعية . يستدعي في الذهن المواطن العربي والمسلم ، حيث الملامح والزى والعادات التي تشير الي منطقة الشرق الأوسط ، وهي تساوي العالم الإسلامي لدى المواطن الغربي.

ومن أهم الأفلام التي تناولت قضية المهاجرين داخل المجتمع الألماني ولكن بثقة أكثر وبروح الدعابة فيلم أهلاً وسهلاً بكم في ألمانيا ، للمخرجة ياسمين سامد يريلي ، ويتناول مناقشة قضية الهوية داخل العائلة التركية وعلي رأسها "سي السيد" والأبناء غير مهتمين بالهوية التركية لأنهم مندمجون في المجتمع الألماني بنجاح، ويعد الفيلم الذي عرض ٢٠١١م كوميدياً عابرة للأجيال والثقافات تتميز بالشجاعة وقوة الطرح والنظرة المتفائلة ، ولكنه مليء بالأحكام المسبقة والصور الجاهزة للمسلمين ، وهي بالطبع صور نمطية جامدة تقليدية ، وهناك أفلام في هذا السياق تتفوق علي هذا الفيلم من حيث الجودة ، مثل "ضد الحائط" للمخرج فاتح أكين ، وفيلم "قصير وبدون ألم" للمخرج فيوألاداغ ، وهما مخرجان من أصل تركي أيضاً . (٤٥)

* * *

هوامش الفصل الثالث

١) زابينه شيفر : "التنوع في وسائل الإعلام الألمانية ضد الأحادية"، مجلة فكروفن الألمانية . باللغة العربية . يونيو ٢٠١٠م .

١) المصدر السابق .

١) زابينه شيفر : "الإسلام في الإعلام الألماني حقائق مختلفة وصور مشوهة"،موقع قنطرة، بتاريخ ١٤/ ١٢ / ٢٠٠٤م .

٤) زابينه شيفر ، المصدر السابق .

٥) المصدر السابق .

٦) المصدر السابق.

٧) المصدر السابق .

٨) المصدر السابق

٩) مجلة فكروفن ، صورة الإسلام في الإعلام الألماني ، مصدر سابق.

١٠) زابينه شيفر ، الإسلام في الإعلام الألماني : حقائق مختلفة وصور مشوهة " مصدر سابق.

١١) جريدة أخبار اليوم المصرية ، ٤ مايو ٢٠٠٢م .

١٢) Jochen Hippler : (The next threat of Islam) , (London , Pluto Press , 1995) pp116.

١٣) سامي مسلم : صورة العرب في صحافة ألمانية الإتحادية ، (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ،١٩٨٥م ص ٤١ .

١٤) المصدر السابق .

١٥) بول فيندلي : كفي صمتا .. مواجهة تصورات أمريكا الخاطئة عن الإسلام " ، ترجمة وعرض الهيئة العامة للإستعلامات ، القاهرة ٢٠٠٢م.

١٦) زابينه شيفر : "التنوع في وسائل الإعلام الألمانية ضد الأحادية " ، مصدر سابق.

١٧) المصدر السابق.

١٨) مجلة فكر وفن : صورة الإسلام في الإعلام الألماني ، مصدر سابق .

١٩) المصدر السابق .

٢٠) المصدر السابق .

٢١) المصدر السابق .

٢٢) المصدر السابق نفسه .

٢٣) جريدة الأهرام المصرية ، خلاصة حوار برلين حول مستقبل المسلمين في أوروبا ،٢٢/٥/٢٠٠٢م ، ص١٥ .

٢٤) عبد العظيم حمادة :"الإسلام والمسلمون في ألمانيا بعد ١١سبتمبر" الأهرام القاهرة،٨/١١/٢٠٠١م .

٢٥) المصدر السابق.

٢٦) المصدر السابق.

٢٧) المصدر السابق.

٢٨) المصدر السابق.

٢٩) مارتينا صبرا : "الحوار الإعلامي الألماني في الرباط : النساء في وسائل الإعلام" موقع قنطرة للحوار مع العالم الإسلامي de.qantara بتاريخ ٢٩/١٢/ ٢٠٠٥ م .

٣٠) كتايون أميربور: "تحريض رخيص" موقع قنطرة للحوار مع العالم الإسلامي ١٠/ ١٠ / ٢٠٠٣م as qantara.de.

٣١) فهمي هويدي :" مؤامرة في لندن " ،جريدة الأهرام المصرية ، ٢٠ يوليو ٢٠٠٤ ، ص١١ .

٣٢) الصحيفة الأولي "الصن" والتي جاء عنوان صفحتها الأولي هو :"لقد هبط الشر المملكة المتحدة رحبت بالشيخ الذي يعشق الإرهاب" أما الصحيفة الثانية هي "ديلي اكسبريس " والتي حمل عنوان تقريرها : "سفير الكراهية وصل الي بريطانيا .. هذا الرجل الشرير يجب أن يمنع من الدخول " والصحيفة الثالثة هي "التايمز" والرابعة " ايفننيج ستاندر ، وقد ذكرت نفس المعاني في النصوص والعناوين ، ولكن بشكل أقل فجاجه.

٣٣) فهمي هويدي ، مؤامرة في لندن ، مصدر سابق .

٣٤) المصدر السابق .

٣٥) صحيفة لوفيجارو الفرنسية ،٣٠ أغسطس ٢٠٠٣م .

٣٦) المصدر السابق .

٣٧) مجلة فكر وفن ، صورة الإسلام في الإعلام الألماني ، مصدر سابق .

٣٨) مجلة أكتوبر المصرية ، فتنة الفاتن الهولندي الأشقر ،٦ إبريل ٢٠٠٨م ص٢٦، ٢٧ .

٣٩) المصدر السابق.

٤٠) عرض الفيلم في مصر صيف ٢٠٠٥م ولاقي قبولاً وإعجاباً من الجمهور والنقاد ، وقد شارك فيه ممثلون من مصر وسوريا.

٤١) جريدة المصري اليوم المصرية ، ٤ أفلام أمريكية .. غزل هوليوودي علي غير العادة ،٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٥م ص ١٥ .

٤٢) جريدة المصري اليوم ، 3موضوعات علي الأجندة السياسية .. المهاجرون واحتلال العراق والعمليات الإستشهادية في فلسطين ،٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٥م .

٤٣) المصدر السابق .

٤٤) مارجريت كولر : "المهاجرون في السينما الألمانية : من ضحايا الي رعايا " ، موقع قنطرة qantara . de. ، ١١يناير ٢٠١٢م .

٤٥) المصدر السابق .

***